

جاك لندن

ترجمة محمد علي ثابت


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

سرقة

تأليف
جاك لندن

ترجمة
محمد علي ثابت

مراجعة
عبد الفتاح عبد الله





سرقة

جاك لندن

Theft

Jack London



الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٣٣٥٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٩١٠.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

المحتويات




أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

الفصل الأول: حجرة في منزل السيناتور تشالمرز.
الفصل الثاني: جناح هوارد نوكس في فندق والثام.
الفصل الثالث: حجرة بمنزل أنتوني ستاركويذر في واشنطن.
الفصل الرابع: نفس مكان الفصل الأول.
زمن أحداث المسرحية هو الوقت الحاضر، في العاصمة واشنطن.
وتقع أحداثها على مدار عشرين ساعة.


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

شخصيات المسرحية

مارجريت تشالمرز: زوجة السيناتور تشالمرز.

هوارد نوكس: عضو الكونجرس عن ولاية أوريجون.

توماس تشالمرز: عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ومليونير واسع الثراء.

توماس تشالمرز الابن: ابن مارجريت والسيناتور تشالمرز.

إليري جاكسون هوبارد: صحفي.

أنتوني ستاركويذر: ثري كبير ووالد مارجريت تشالمرز.

السيدة ستاركويذر: زوجة أنتوني ستاركويذر.

كوني ستاركويذر: ابنتهما الصغرى.

فيليكس دوبلمان: سكرتير أنتوني ستاركويذر.

ليندا ديفيس: وصيفة مارجريت تشالمرز.

جوليوس روتلاند: كاهن الأسقفية.

جون جيفورد: محرِّض للعمال.

ماتسو ساكاري: سكرتير السفارة اليابانية.

دولوريس أورتيجا: زوجة الوزير البيروفي.

سيناتور دوسيت.

السيدة دوسيت.

مُدبِّرة المنزل، الخدم، عملاء، وغيرهم.



أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

وصف شخصيات المسرحية للممثلين

مارجريت تشالمرز: تَبلُغ من العمر سبعة وعشرين عامًا؛ امرأةٌ قوية وناضجة، لكنَّها رقيقة تمامًا عندما يتعلَّق الأمر بقلبها أو إحساسها بالجمال. عيناها واسعتان. ولها ابتسامةٌ مُبهِرة تعرف كيف تستخدمها عند الحاجة. وعند الحاجة أيضًا يمكن أن تكون حازمة وقاسية وحتى لاذعة. امرأةٌ مثقَّفة، وكذلك كاملة الأنوثة، وبارعة في إظهار الرقة فجأة وإطلاق ومضات من المشاعر والأفعال المباغِتة. وهي نتاجٌ نهائي للثقافة الرفيعة والتهذيب، وتمتلك في الوقت نفسه حيويةً ونشاطًا ومُحفزاتٍ غريزية نحو الصواب، تُبشِّر بالخير لمستقبل ذلك العرق.

هوارد نوكس: لربما أصبح شاعرًا، لكنه تحوَّل إلى سياسي. يَضطرم قلبه بحب الإنسانية. في الخامسة والثلاثين من عمره. يَحمل رؤيته الخاصة ويَلتزم باتباعها. كابَدَ النَّبذ من المجتمع بسبب رؤيته تلك، وتبِع رؤيته برغم الإساءة والسُّخرية. من الناحية البدنية، هو رجلٌ قويٌّ حسن البنية. مظهره يوحي بالقوة أكثر من الوسامة. جادٌّ جدًّا؛ ورغم تعليمه الجامعي فإنه صعب المراس قليلًا، ويفتقر إلى العفوية. انتُخب لعضوية الكونجرس على قائمة الإصلاح، ويكاد يكون وحيدًا في المعركة التي يخوضها. ليس له حزب يدعمه، رغم أن له أتباعًا قليلين من المُستقلِّين والثائرين.

توماس تشالمرز: يتراوح عمره بين خمسة وأربعين إلى خمسين عامًا. له شاربٌ رماديٌّ داكن. قليل الشجاعة. يعيش عيشة ترف، يميل كثيرًا إلى معاقرة الويسكي والصودا، وله قلبٌ واهن. قابل للانهيار في أي وقت. يمكن القول إنه كسول قليلًا أو خامل في حياته العاطفية. أحد أعضاء مجلس الشيوخ «التابعين للدولة» ويُمثل ولاية نيو إنجلاند المُتداعية، وهو بنفسه ربان الماكينة السياسية للولاية. ليس بأحمق أيضًا. بل يتمتَّع

بالذكاء وقوة الشخصية التي تُؤهِّله للعب دوره. وأكثر ما يُميزه من صفات هو طبعه الانتهازي.

توماس تشالمرز الابن: عمره ست سنوات. قوي الجسد وذو صحةٍ جيدة؛ برغم اعتقاد جدَّته أنه على عكس ذلك.

إليري جاكسون هوبارد: بين الثامنة والثلاثين والأربعين من العمر. حليق الذقن. أحد نجوم الصحافة، وذائع الصيت على المستوى القومي؛ رجلٌ ضخم الجثة وممتلئ البدن، له رأسٌ كبير ويدٌ كبيرة، كل ما فيه ضخم. يشعُّ بالرغد والتفاؤل والأنانية. منعدم الأخلاق تمامًا. وعيُه متمركز حول ذاته الفردية الأنانية، بارد الأعصاب وعديم الرحمة، يعمل من أجل نفسه فقط؛ ولا يؤمن بشيءٍ سواها.

أنتوني ستاركويذر: عجوزٌ نبيل، حالته الصحية جيدة، ذو بنيةٍ رشيقة، وتظهر عليه كل العلامات الدالة على رجلٍ عاش عيشًا نظيفًا يكاد يكون زاهدًا. هو ذلك الشخص الذي لم تعنِه مباهج الجسد كثيرًا. رجلٌ قاسٍ شديد الهدوء والتحكُّم في نفسه؛ شغفه الوحيد هو السلطة. هو رجل سلطة بامتياز. يماثل النسر، والذي نحت لنفسه بفِطنة عقله وقوة شخصيته ثروةً تُقدَّر بمئات الملايين. باختصار هو قطبٌ صناعي ومالي من الطراز الأول، ومن أرفع طرازات الرجال في الولايات المتَّحدة. وهو رجلٌ ذو قيم وثوابت بصفةٍ أساسية، وكانت قيمه ومبادئه الصارمة التي تعود إلى أصله في نيو إنجلاند قد مرَّت بالكثير من التغيُّر والتطور حتى أصبحت ثوابت تُناسب سيدًا مطاعًا ذا شأن، وهي صارمة بنفس القدر ولا هُوادة فيها بنفس الكيفية، لكنها يَسُوعية بشكلٍ رئيسي من زاوية إيمانه بأنَّ الصواب يُمكن أن يأتي من قلب الخطأ. وهو مُوقن تمامًا أن عبء الحضارة والتقدم يقع على كتفَيه؛ وعلى أكتاف مجموعةٍ محدودة من الرجال أمثاله.

سيدة ستاركويذر: من طراز كبار السن البدينات الهادئات اللاتي لا حول لهنَّ ولا قوة. لم تتبع تطوُّر زوجها الأخلاقي. بل هي كائنٌ مُتمسك بالتقاليد والآراء المسبقة القديمة، بالأخلاقيات العتيقة لنيو إنجلاند. ويُحيِّرها اندفاع الحياة العصرية وإيقاعها السريع.

كوني ستاركويذر: شقيقة مارجريت الصغرى، وعمرها عشرون عامًا. لكنَّها لا تُشبه مارجريت في شيء، وتُخالفها في كل شيء. ليس لها تفكيرها الخاص، لكن ليس فيها عيب متأصل؛ هي صنيعة العادات والتقاليد بشكل ميئوس منه. مرحةٌ ضحوك، موفورة الصحة، ممتلئة الجسد؛ هي نتاجٌ طبيعي لبيئتها الخالية من المتاعب.

فيليكس دوبلمان: السكرتير الخاص لأنتوني ستاركويذر. شابٌّ ذو سلوكٍ اجتماعيٍّ صائب، وفي كل الأمور وبشكلٍ تامٍّ يُمثِّل ذلك السكرتير الخاص الذي يسعى رجل مثل أنتوني ستاركويذر للحصول عليه. وهو مخلوقٌ ضعيف الروح، وجِل، يكاد يكون مخنثًا.

ليندا ديفيس: خادمة مارجريت، شابة في الخامسة والعشرين أو نحو ذلك، شقراءُ اسكندنافية وإن كانت أمريكية المَولد. امرأةٌ باردة الأعصاب، تكاد ملامحها لا تُفصِح عن شيء بسبب سنواتٍ طوال من التدريب على الخدمة، لكن في أعماقها تَحمل قلبًا جياشًا مُتَّقِدًا، وتمتاز بإخلاصٍ شديد لسيدتها. ولا يَستطيع أحد على وجه الأرض أن يَستخلِص منها شيئًا يخصُّ سيدتها.

جوليوس روتلاند: نظرًا لعدم وجود سماتٍ قوية فيه، فإنَّ هذا النوع من البشر سيُعرِّف عن ذاته خلال الأحداث.

جون جيفورد: مُحرِّض للعمال. هو رجل من الشعب، خشن، ونحيلٌ على نحو ما قد يكون القائد العمالي، وجادٌّ ومخلص. هو أفضل من يكون زعيمًا عُماليًّا.

ماتسو ساكاري: سكرتير السفارة اليابانية. مثال على كمال الأدب والتهذيب، ويتحدَّث إنجليزية الكتب الكلاسيكية. كثير الانحناء للآخَرين.

دولوريس أورتيجا: زوجة الوزير البيروفي المُفوَّض؛ مُشرِقة ومفعَمة بالحيوية، وتستخدم يدَيها كثيرًا وهي تتحدَّث على طريقة أهل أمريكا اللاتينية.

السيناتور دوسيت: في الخمسين من عمره، ويُحافظ على صحته جيدًا.

السيدة دوسيت: سيدةٌ مُمتلئة الجسم متوسِّطة العمر.

الفصل الأول

حُجرة في منزل السيناتور تشالمرز

المشهد: الساعة الرابعة بعد الظهر في منزل السيناتور تشالمرز، في غرفة معيشةٍ عصريةٍ مؤثَّثة بأثاثٍ مناسب. بتفصيل أكثر، في المقدمة على جهة اليسار ثمَّة طاولةٌ معَدَّة لتقديم الشاي، عليها كل شيء ما عدا وعاء الشاي نفسه. في مؤخَّر الغرفة على جهة اليمين من أوسطها يُوجد المدخل الرئيسي للغرفة. يوجد كذلك مداخل على الجانبَين، الأيسر والأيمن.

تَنفتِح الستائر لتكشف عن تشالمرز وهوبارد يجلسان باسترخاء في مقدمة المسرح جهة اليمين.

هوبارد (بعد صمتٍ واضحٌ أنه من أجل التفكير)**:** لا أفهم لماذا يجب على عجوزٍ مُخضرَم مثل إلسوورث أن يُسيء التصرف بهذا الشكل.

تشالمرز: إنه ساخط. يَعتقِد أنه لم يحصل على نصيبه العادل من لجنة التَّعريفة الجُمركية. إلى جانب أن هذه هي ولايته الأخيرة. فقد أعلن أنه ينوي التقاعد.

هوبارد (ينخر بازدراء، ومقلِّدًا حديثًا طنانًا لرجل عجوز)**:** قرار بالتحقيق في ارتفاع كُلفة المعيشة! السيناتور إلسوورث يأتي على إجراءٍ كهذا! يا له من عجوز! كيف ستتعامَل مع هذا الأمر؟

تشالمرز: لقد تعاملتُ معه بالفعل.

هوبارد: وبعدُ؟

تشالمرز (جاذبًا شاربه)**:** لقد أحلتُه إلى لجنة التدقيق والرقابة على المصروفات النَّثرية لمجلس الشيوخ.

هوبارد (يَبتسِم مُعربًا عن إدراكه)**:** وأنت رئيسها. مسكين هو العجوز إلسوورث. هذا هو الاتجاه نحو الحُجرة القاتلة، ومشروع القانون في طريقه.

تشالمرز: سيحين تقاعد إلسوورث حتى قبل إعداد تقرير. في غضون ذلك — ولنقُلْ بعد فاصلٍ زمنيٍّ مناسب — سيتقدَّم السيناتور هودج بقرارٍ آخر للتحقيق في ارتفاع تكاليف المعيشة. وسيكون مشابهًا لقرار إلسوورث، إلا إنه لن يكون القرار نفسه.

هوبارد (يُومئ برأسه وهو يتكهَّن)**:** وسيذهب إلى لجنة المالية ثم يعود للتنفيذ خلال أربع وعشرين ساعة.

تشالمرز: بالمناسبة، أرى أنَّ مجلة كارترايت قد توقفت عن النبش وإثارة الضجة.

هوبارد: كارترايت لم تُثِر الضجة قط — أقصد، ليس في حق الكيانات الكبرى — فقط الشركات الصغيرة المُستقلة التي لم تُعلِن.

تشالمرز: نعم، لقد أخفت الصحيفة ميولها الرجعية بمهارة.

هوبارد: ومن الآن فصاعدًا سيُصبح الإخفاء أكثر براعة. لقد تدخلتُ في الأمر بنفسي. أنا الآن أملك غالبية أسهمها.

تشالمرز: أعتقد أنَّني لاحظت تغيرًا طفيفًا في آخر عددَين منها.

هوبارد (يُومئ برأسه)**:** ما زلنا مُستمرين في أسلوب صحافة الفضائح. فلدينا الآن سلسلة مقالاتٍ رائعة حول المسنين من الفقراء المعدمين، نطالب فيها بمعاملةٍ أفضل والمزيد من التحسين للظروف الصحية. كذلك نحن على وشك أن نُطلق حملة «فنزويلا البربرية» ونكشف فيها تمامًا الإدارة السياسية الفاسِدة لهذا البلد المُتخلِّف.

تشالمرز (يُومئ برأسه مؤيدًا، ثم يقول بعد صمت يطُول برهة)**:** والآن بخصوص نوكس. هذا ما أرسلت لك بشأنه. يَحين موعد خطابه غدًا بحسب المقرر. أخيرًا جعلناه حيث نُريد.

هوبارد: أنا أعلم تمامًا مداخل ومخارج الخطاب. وقد رتبتُ لكل شيء. الشباب لديهم توجيهاتهم، برغم أنهم لا يَعرفون تمامًا ما الذي سيحدُث؛ وبحلول هذا الوقت غدًا بعد الظهر، ستئزُّ أسلاك التلغراف بتقاريرهم.

تشالمرز (بحزم وصرامة)**:** لا بد لهذا المدعو نوكس أن يغرق في السخرية، أن تنهال عليه، أن تفنيه وتسحقه.

هوبارد: سيَسخرون منه. ثق أن الشعب الأمريكي العظيم سيَسخر منه. سنجعل أولئك الصحفيين التافهين في الغرب يَنتفضُون. أولئك الذين يثقون بنوكس، ويولونه أهمية لا يستحقها. ستكون السخرية منهم مدوية.

تشالمرز: هل ستفعل أي شيء بنفسك؟

هوبارد: ثق بي. لديَّ مقالي الخاص جاهز لينشر في كارترايت. هم يؤخرون الطبع لأجله. سأرسله إليهم سريعًا مساء الغد. لنقل ...؟

تشالمرز (بعد بُرهة صمت)**:** وبعد؟

هوبارد: لكن ألم يكن من الخطورة إعطاؤه الفُرصة للتفوُّه بهذا الخطاب؟

تشالمرز: كان ذلك هو الحل المُجدي الوحيد. لم نجد له ثغرة أبدًا. لقد رابط رجالنا في إثره ليل نهار. وجدوا أن حياته الشخصية لا غبار عليها تمامًا مثل حياته العامة. لكن هذه فرصتنا الآن. لقد ألقت به الأقدار بين أيدينا. وسيُقوِّض هذا الخطاب من تأثيره أكثر ...

هوبارد (مقاطعًا تشالمرز)**:** أكثر من مشروب كوكتيل فيربانكس.

(يُقهقه الاثنان.)

لكن لا تنسَ أن نوكس نشيط وعدواني؛ وربما يُلحق الضرر بأحدهم. هل أنت واثق أنه لن يكون قادرًا على التراجُع عندما يقف لإلقاء خطابه؟

تشالمرز: لا توجد خطورة على الإطلاق.

هوبارد: لكن أحيانًا يكون ثمة وسائل كثيرة نحصل بها على الحقائق.

تشالمرز (بثبات وثقة)**:** ليس لدى نوكس ما يَستنير به سوى بعض الشكوك والتلميحات والتأكيدات التي لا أساس لها، والتي حصل عليها من الصُّحف الصفراء.

(يدخل خادم إلى الحجرة ويذهب إلى طاولة الشاي، يعاينها ثم يعيد ترتيبها قليلًا.)

(يخفض تشالمرز صوته.)

سوف يجعل من نفسه أضحوكة. وسترتدُّ اتهاماته عليه. سيكون خطابه بمَثابة ورقة من مُلحَق التسلية في صحف الأحد، دون وجود حقيقةٍ واحدة تدعمه.

(يُلقي نظرة على الخادم.)

من الأفضل أن نخرج من هنا. يبدو أنهم سيُقدِّمون الشاي.

(يخرج الخادم من الغرفة.)

هيا بنا إلى المكتبة لنَتناول بعض الشراب.

(يَقفان بينما يتحدَّث هوبارد.)

هوبارد (بابتهاج هادئ)**:** وغدًا يَنال علي بابا ما يستحقُّه.
تشالمرز: علي بابا؟
هوبارد: هذا هو الاسم الذي تُطلقه زوجتك عليه؛ نوكس.
تشالمرز: أوه أجل، أظنُّ أنني سمعتُ ذلك من قبلُ. لقد حان الوقت ليشنق نفسه، وقد وفرنا له الحبل الآن.
هوبارد (خافضًا صوته ومُسِرًّا إليه باستنكار)**:** بالمناسبة، هذا مجرَّد تحذيرٍ ودِّي يا سيناتور تشالمرز. لا تندفع وتتصرَّف بتهور على طريقة نيويورك. ناهيك عن ذكر تلك السيدة التي تعرفها؛ إنَّ الشائعات تَنتشِر حول هذا الأمر في مكاتب صحيفة نيويورك. بالطبع قضينا على كل تلك الحكايات، لكن حذارِ ثم حذارِ، لو طالت يد جيرست هذا الأمر فسيستخدمه ضد الإدارة في كل أوراقه.

(طوال حديث هوبارد، يظهر على تشالمرز تعبير استياءٌ متزايد، ويوشك على التحدث حين تُسمَع أصوات من الخارج فيُحجِم عن الكلام.)

(تدخل السيدة ستاركويذر مُرتبكة إلى حدٍّ ما وتوشك على الانهيار، تتبعها كوني ستاركويذر مُفعَمة بالنشاط والتألُّق والبهجة.)

السيدة ستاركويذر (في مناشَدة وارتياح)**:** أوه ... توم!

(يُمسك تشالمرز بيدها في عطف وحنو.)

كوني (تَندفِع متقدِّمة وهي مُتهللة)**:** أوه يا صهري! كم كان الأمر مثيرًا! إليك ما حدث مع أمي. لقد صدمنا عربة أطفال. لم يكن سائقنا مخطئًا. بل كان خطأ المرأة. حاولتِ المرأة عبور الطريق لحظة دخولنا المنعطف. لكنَّنا بالكاد مسسناها. لحسن الحظ لم يُصَب الطفل بأذًى، بل وقع من العربة فقط. كان الأمر سخيفًا.

(تَلمَح هوبارد في المكان.)

أوه، أنت هنا سيد هوبارد. كيف حالك؟

(تقطع نصف المسافة نحوه لتُصافحه.)

(تتطلَّع السيدة ستاركويذر حولها بوَهنٍ بحثًا عن مقعد، فيرشدها تشالمرز إلى أحد المقاعد بلطف.)

السيدة ستاركويذر: أوه، كان الأمر فظيعًا! كان يُمكن أن يُقتَل الطفل الصغير. وأعرف أن مثل هؤلاء الناس يُحبُّون أطفالهم.

كوني (موجِّهة حديثها إلى تشالمرز)**:** هل جاء أبي؟ كان من المُفترض أن نُقِلَّه من هنا. أين مادج؟

السيدة ستاركويذر (تتلصَّص على هوبارد وتقول في وهن)**:** أوه، ها هو السيد هوبارد.

(يتقدَّم هوبارد نحوها ويصافحها.)

ببساطة لا أستطيع التأقلُم مع سرعة هذه الحياة العصرية. إن السيارة الميكانيكية لهي اختراعٌ شيطاني. كل شيء يسير في غاية السرعة. عندما كنتُ فتاةً صغيرة، كنا نعيش بهدوء وتُؤَدة. كان هناك دائمًا وقت للتأمل والاسترخاء. لكن في هذا العصر لا يوجد وقت لشيء. الشيء الذي لا أستوعبه هو كيف يَحتفظ أنتوني بهدوئه! لكن أنتوني بالفعل رجلٌ رائع.

هوبارد: أنا مُتأكد يا سيدتي أن السيد ستاركويذر لم يفقد رباطة جأشه قط طوال حياته.

تشالمرز: إلا حين كان يتودَّد إليكِ يا أماه.

السيدة ستاركويذر (بابتسامة خفيفة)**:** لستُ واثقة من هذا.

كوني (تُقلِّد تعبيرات رزينة عملية الطابع)**:** على الأرجح إنَّ أبي تشاور أولًا مع شركائه، ثم أحال الأمر إلى محامي الشركة للنظر فيه، وعندما أبلغوه أنه لا غبار عليه، بحَث عن أول نصف ساعة شاغرة في جدول مواعيده ثم سأل أمي عما إذا كانت تَقبل به زوجًا.

(يضجُّون جميعًا بالضحك.)

ونظر في ساعته مرتَين على الأقل وهو يتقدَّم لها.

السيدة ستاركويذر: لم يكن أنتوني مشغولًا هكذا حينها.

هوبارد: لم يكن قد تولى بعدُ مهمَّة إدارة الولايات المتَّحدة.

السيدة ستاركويذر: أنا مُتأكِّدة من أنني لا أعرف ما الذي يُديره بالضبط، لكنه رجلٌ كثير الانشغال؛ ما بين الأعمال والسياسة والجنون، ثم الجنون والسياسة والأعمال.

(تتوقَّف عن الكلام لاهثة وتتطلَّع ناحية طاولة الشاي.)

الشاي. أود تناول كوب من الشاي. سأبقى هنا يا كوني حتى أتناول كوبًا من الشاي، وإذا لم يَحضُر والدك سنعود إلى المنزل.

(تَلتفِت إلى تشالمرز)

أين تومي؟

تشالمرز: بالخارج مع مادج في السيارة.

(ينظر نحو طاولة الشاي ثم يتطلع إلى الساعة.)

يَنبغي أن تعود الآن.

كوني: أمي، لا يجب أن تمكُثي طويلًا. لا بدَّ لي من ارتداء الملابس والتزيُّن.

تشالمرز: أوه أجل، بشأن ذلك العشاء.

(يتثاءب.)

أتمنَّى لو أستطيع أن أستريح الليلة.

كوني (تُوضِّح الأمر لهوبارد): المسئول التركي القائم بالأعمال؛ لا أستطيع أن أتذكَّر اسمه. لكنه شخص ممتع للغاية ومبهج بحق؛ سوف يقيم حفل عشاء على شرف السفير البريطاني.

السيدة ستاركويذر (تتحرَّك نحو الأمام في جلستها وتصغي باهتمام): ها هو تومي قد جاء.

(تُسمَع أصوات مارجريت تشالمرز وتومي قادمة من الخارج. مارجريت تحتجُّ ضاحكة بينما يُصرُّ تومي مبتهجًا.)

(تظهر مارجريت وتومي ويتوقفان خارج الباب مباشرة، يُمسك كلٌّ منهما بيد الآخر، ويواجه كلٌّ منهما الآخر، وقد انشغل كلٌّ منهما بالآخر حتى إنهما لا يشعران بوجود من في الغرفة. كلاهما يرتدي ملابس عادية.)

تومي (ضاحكًا)**:** لكن ماما.

مارجريت (ضاحكة لكنها تهزُّ رأسها رفضًا)**:** لا.

تومي: أولًا …

مارجريت: لا، يجب عليك أن تَركض مباشرة إلى ليندا، وتفعل ذلك الآن يا حبيب ماما. وسوف نتحدَّث عن ذلك في وقتٍ آخر.

(يُلاحظ تومي لأول مرة أن ثمَّة أشخاصًا آخرين في الغرفة. يطلُّ برأسه ويختلس النظر وراء الباب فيلمح السيدة ستاركويذر. وفي نفس اللحظة يسحب يديه بصورةٍ تلقائية من مارجريت ويركض داخلًا الغرفة نحو السيدة ستاركويذر.)

تومي (الذي يبدو بوضوح أنه مُغرَم جدًّا بجدته)**:** جدتي!

(يتعانقان ويُظهران الكثير من الحبِّ والحنان أحدهما تجاه الآخر.)

(تدخل مارجريت الغرفة وتُحيِّي الآخرين على النحو الملائم و«ربما» قبَّلت كوني، وتُصافح هوبارد ببرودٍ طفيف.)

مارجريت (موجِّهة حديثها إلى تشالمرز)**:** الآن وقد أصبحتَ هنا يا توماس، لا يجدر بك أن تتهرَّب ثانية.

(تُحيِّي السيدة ستاركويذر.)

السيدة ستاركويذر (تدير وجه تومي نحو الضوء وتنظر إليه بقلق)**:** إنه نحيفٌ قليلًا يا مارجريت.

مارجريت: على العكس يا أمي …

السيدة ستاركويذر (تتحدَّث إلى تشالمرز)**:** ألا تظنُّ ذلك أيضًا يا توم؟

كوني (تُسرُّ إلى هوبارد جانبيًّا)**:** إن أمي دائمة القلق على صحة توم.

هوبارد: رأيي أنه شابٌّ قوي.

تومي (قائلًا لتشالمرز)**:** أنا هنديٌّ، ألستُ كذلك يا أبي؟
تشالمرز (يومئ برأسه مؤكِّدًا كلام الصبي)**:** بل وأشجع قلب في القبيلة أيضًا.

(تظهر ليندا في المدخل، من الواضح أنها تَبحث عن تومي، ويراها تشالمرز.)

وها هي ليندا تبحث عنك، أيها اليافع ذو القلب الشجاع.
مارجريت: خذي تومي يا ليندا. اركُض إليها يا حبيب ماما.
تومي: تعالي معي يا جدتي، أريدُ أن أُريكِ شيئًا.

(يُمسك بيد السيدة ستاركويذر. وتسمح له وهي تحتج — ولكن بمنتهى السعادة — أن يقودَها نحو الباب، حيث يمد يده الثانية إلى ليندا. وهكذا توقف في المدخل وهو يقود المرأتين بكلتا يدَيه ونظر إلى مارجريت في الخلف.)

(وبنبرة لئيمة.)

تذكري يا ماما أننا سنَذهب للاستكشاف معًا بعد قليل.
مارجريت (تذهب إلى تومي وتَنحني نحوه وتحيطه بذراعيها)**:** كلا يا تومي. ماما مُضطرَّة للذهاب إلى ذلك العشاء المُروِّع الليلة. لكن غدًا سوف نلعب معًا.

(يُطرِق تومي إلى الأرض، ويبدو وكأنه سيَعبس ويغضب.)

أين رجُلي الهندي الصغير الآن؟
هوبارد: كن كالهنود يا تومي.
تومي (يُشرِق وجهه ثانية)**:** حسنًا يا ماما. نلعب غدًا ما دمتِ لا تجدين وقتًا اليوم.

(تُقبِّله مارجريت.)

(يخرج تومي والسيدة ستاركويذر وليندا، يقودهما تومي ممسكًا يد كل واحدة منهما بإحدى يدَيه.)

تشالمرز (يومئ إلى هوبارد، ويُحدِّثه بصوتٍ خفيض ثم يشرع في الخروج من الناحية اليُمنى)**:** لنحتسِ ذلك الشراب.

(يسحب هوبارد نفسه من جوار كوني ويتبع تشالمرز.)

كوني (بتأنيب)**:** إذا هربتم منِّي الآن فلن أنتظر الشاي.
مارجريت: توقف يا توم. أبي سيكون هنا خلال بضع دقائق.
كوني: ستكون حفلةً عائلية عادية.
تشالمرز: حسنًا. سنعود ثانية. فقط سنتحدَّث قليلًا ثم نعود.

(يخرج تشالمرز وهوبارد من يمين الغرفة.)

(باندفاع تُطوِّق مارجريت ذراعها حول كوني — في حركةٍ عفوية تمامًا تنمُّ عن مودَّة — وتُقبلها، وفي نفس الوقت تُظهر الاستعداد للمغادرة.)

مارجريت: يجب أن أذهب لأستعدَّ. هلَّا انتظرتِ هنا يا عزيزتي؛ فربما يأتي أحد؟ لقد حان الوقت تقريبًا.

(تُبادر بالسير نحو باب المخرج في مؤخَّر الغرفة، لكن تستوقفها كوني.)

كوني: مادج.

(تتوقَّف مارجريت على الفور وتترقَّب متبسمة، فيما تتردَّد كوني.)

مادج، أريد أن أتحدث معك بخصوص أمرٍ ما. ألديك مانع؟

(تهزُّ مارجريت رأسها نافية ولا تَزال مبتسمة.)

مجرَّد تحذير. وليس معنى ذلك أن أحدًا يُمكنه أن يُصدِّق ولو للحظة أن ثمة خطبًا ما، ولكن …

مارجريت (تُحاول تبديد شيء من الانزعاج علا وجهها)**:** إذا كان الأمر يتعلَّق بتوم فأرجو ألا تخبريني بشيء. تعرفين أنه يأتي في بعض الأحيان بأشياءَ سخيفة. لكنِّي لم أعد أسمح له بأن يزعجني؛ لذا لا تُزعجيني بشأنه.

(تظل كوني صامتة، بينما يتزايد فضول مارجريت)

ماذا؟
كوني: لا يتعلق الأمر بتوم …

(ثم تتوقَّف برهة)

إنه بخصوصك أنتِ.

مارجريت: أوه.

كوني: لا أعرف كيف أبدأ!

مارجريت: بالحديث مباشرة عما تُريدين، بأسوأ ما في الأمر، بكل شيء مرةً واحدة. ومن البداية.

كوني: الأمر ليس خطيرًا على الإطلاق، لكن ... في واقع الأمر، إنَّ أمي قلقة. تعرفين كم هي تقليدية! وحين ننظر إلى وضعنا — أقصد وضع أبي وتوم — لا يبدو من الصواب أن تلتقي كثيرًا مع مثل ذلك الشخص الذي هو بمثابة عدوٍّ لهما. لقد أساء إليهما بشكلٍ فظيع. سيُلقي بخطابٍ بغيض في الغد. لم تقرئي صحف المساء. لقد وجَّه أبشع التُّهَم ضد الجميع؛ ضدنا جميعًا، وكذلك لأصدقائنا والجميع.

مارجريت: بالطبع أنتِ تقصدين السيد نوكس. لكنه ما كان ليؤذي أحدًا يا عزيزتي كوني.

كوني (تكبح نفسها)**:** أوه، فعلًا؟ لقد اتَّهم أبي علنًا بأنه لص.

مارجريت: متى حدث ذلك؟ لم أسمع بهذا قط.

كوني: في واقع الأمر، لقد قال إن أقطاب المال قد أصبحوا عديمي الضمير، وإنهم انحدروا إلى أدنى المستويات لدرجة أنهم لن يتورَّعوا عن سرقة فأر من قطةٍ عمياء.

مارجريت: لكني لا أرى أي علاقة لكلامه هذا بأبي.

كوني: كان يقصده تمامًا.

مارجريت: يا لكِ من ساذجةٍ بلهاء! لا يُمكن أن يقصد أبي. أبي؟ ما كان أبي ليَنظر لشيء أقل من خمسين أو مائة مليون دولار.

كوني: وأنتِ تتحدَّثين إلى ذلك الرجل وتحتفين به كثيرًا حين تلتقينه. لقد تحدثتِ إليه لنصف ساعة في حفل استقبال دوجديل. كما تستقبلينَه في منزلك — منزل توم — بينما هو ألدُّ أعداء توم.

(أثناء الحديث السابق يَدخُل أنتوني ستاركويذر من مؤخَّر الغرفة. تبدو علامات التجهُّم الشديد على وجهه، ويبدو مُستغرقًا في التفكير، كأنه يتدبر في معضلاتٍ كبرى. لدى رؤيته المرأتَين يتوقَّف ويتفقدهما. وهما غير واعيتَين لوجوده.)

مارجريت: أنتِ مخطئة يا كوني. إنه ليس عدوًّا لأحد. إنه أكثر رجل رأيته في حياتي صدقًا وطهارةً وبحثًا عن الحق.

كوني (تقاطعها)**:** إنه مُختلِق للمشاكل، ومُكدِّر للسلم العام، وغوغائيٌّ ضحل التفكير …

مارجريت (بتأنيب وتوبيخ)**:** أنتِ الآن تقتبسين كلام أحدٍ آخر، وأعتقد أنه أبي. أن أُفكِّر أنه تعرَّض لمثل هذه الإساءة البالغة؛ يا للمسكين العزيز علي بابا …

ستاركويذر (يتنحنح بصوتٍ عالٍ ليُعلمَهما بوجوده)**:** احم.

(تلتفت مارجريت وكوني فجأةً لتكتشفا وجوده.)

مارجريت وكوني: أبي!

(تتقدَّمان نحوه لترحبا به، ومارجريت في المقدمة.)

ستاركويذر (مُترقبًا، مُظهرًا أسلوبًا من التأني كرجلٍ كثير الانشغال يُوفِّر الوقت بالوصول إلى ما يُريده مباشرة)**:** أنا بخير، شكرًا لكما. أنا بخير تمامًا من كل النواحي. بشأن علي بابا؟ مَن هو علي بابا؟

(تبدو مارجريت مُستمتعة بتوبيخ كوني.)

كوني: السيد هوارد نوكس.

ستاركويذر: ولماذا تُسمينه علي بابا؟

مارجريت: هذا هو اللقب الذي أُطلقه أنا عليه. كما تعلم مثلما كان علي بابا في مغارة اللصوص. أنت تتذكر رواية ألف ليلة وليلة.

ستاركويذر (بصرامة)**:** منذ فترة يا مارجريت وأنا أرغب في الحديث معكِ عن هذا الرجل. تَعلمين أنني لم أتدخَّل قطُّ في طريقة حياتك منذ تزوجتِ، ولا في إدارتك وترتيبك لبيتك أنت وتوم. لكن هذا المدعو نوكس. عرفت أنكِ استقبلتِه هنا في منزلك حتى …

مارجريت (مقاطِعة)**:** من المحتمل كثيرًا أنه سيكون هنا ظهر اليوم، وقد يأتي في أي وقت الآن.

(يظهر على كوني الغضب والانزعاج من مارجريت.)

ستاركويذر (يكمل حديثه بثبات)**:** بيتكِ أنتِ؛ ابنتي وزوجة السيناتور تشالمرز. كما قلت، أنا لم أتدخل في شئونك منذ زواجك. لكن مسألة نوكس هذه تتعدى وتتجاوز الترتيبات الأسرية. إنه أمرٌ ذو أهميةٍ سياسية. الرجل عدو لطبقتنا ومُثير للجدل. لماذا تستقبلينه هنا؟

مارجريت: لأنه يروق لي. لأنه شخصٌ أفتخر بأن أدعوه «صديقي». لأنَّني أتمنى لو أن هناك الكثير من أمثاله في العالم. لأنني لم أرَ منه قطُّ سوى الأفضل والأرفع شأنًا. بالإضافة إلى أنه من المُمتع جدًّا أن أرى كيف يمكن لرجلٍ فاضل أن يُزعجكم أنتم قادة الصناعة ومن بيدهم مقاليد الأمور. اعترف يا أبي بأنك مُرتبِك جدًّا الآن. سيكون هنا في غضون بضع دقائق، وستُصبح أنت أكثر قلقًا. لماذا؟ لأنه شأن يتجاوز الترتيبات العائلية. وهو شأنك أنت وليس شأني أنا.

ستاركويذر: هذا المدعو نوكس شخصيةٌ خطرة؛ شخصية لا أحب رؤية أيٍّ من أفراد عائلتي يتعامل معها. إنه ليس برجلٍ نبيل.

مارجريت: إنه رجلٌ عصامي إذا كان ذلك ما تَعنيه، وبالتأكيد لا يمتلك أيَّ أموال.

كوني (مقاطعة): إنه يقول إنَّ المال سرقة ... على الأقل حين يكون في يد شخصٍ ثري.

ستاركويذر: إنه جلف ... جاهل.

مارجريت: علمت أنه خريج جامعة أوريجون.

ستاركويذر (ساخرًا): كليةٌ قروية محدودة. لكن ليس هذا ما أعنيه. أنا أعني أنه غوغائي يُهيج المشاعر الوحشية لدى الناس.

مارجريت: بالتأكيد أنت لن تُسمِّي دفاعه عن قانون منع عمالة الأطفال، وقانون الحفاظ على الغابات، وقانون أراضي الفحم؛ بأنه تهييج وإثارة لمشاعر الناس، أليس كذلك؟

ستاركويذر (ضجرًا): أنتِ لا تفهمين. عندما أقول إنه خطر فذلك لأنه يُهدِّد كل استقرار، لأنه يهددنا نحن مَن صنعنا هذه البلاد، نحن الذين يَرتكز علينا هذا الوطن وازدهاره.

(تُبصر كوني المتاعب قادمة، فتمشي عبر المسرح مُبتعدة عنهما.)

مارجريت: تقصد أباطرة الصناعة وأقطاب المصارف والاتحادات؟

ستاركويذر: سميها هكذا. أو أطلقي عليها ما تشائين. لكن من دوننا ستسقط البلاد في أيدي الأوغاد من أمثال نوكس هذا، وستَنسحِق خرابًا.

مارجريت (مُستنكِرة): هو ليس وغدًا يا أبي.

ستاركويذر: إنه عاطفيٌّ حالم، كما أنه مُتحمِّسٌ أخرق. والأقوال الخرقاء التي يقولها الرجال من أمثاله هي التي تضع القنبلة والسكِّين في يد القتلة.

مارجريت: على الأقل هو رجلٌ صالح، حتى لو كان يختلف معك في المشكلات السياسية والصناعية. ويعلم الرب كم أصبح الرجال الصالحون عملة نادرة في هذه الأيام!

ستاركويذر: أنا لا أطعن في أخلاقه ولا دوافعه؛ فقط في عقلانيته. حقًّا يا مارجريت، لا يوجد خبثٌ متأصِّل فيه. أعترف بذلك. لكن هذا بالضبط ما يجعله بمثل هذه القوة في الشر.

مارجريت: عندما أُفكِّر في كل الشَّقاء والألم الذي يحاول علاجهما لا أرى فيه سوى قوة من أجل الخير. إنه لا يعمل لنفسه، بل من أجل الكثيرين. لهذا السبب لا يَملك المال. أما أنت فالربُّ وحده يعلم كم الملايين التي لديك؛ لقد عملتَ دائمًا لنفسك.

ستاركويذر: أنا أيضًا أعمل من أجل الناس. أُوفِّر العمل للكثيرين. أجعل الحياة ممكنة للكثيرين. أنا فقط على وعيٍ تام بالمسئوليات التي تتطلبها إدارتي للثروة.

مارجريت: ولكن ماذا عن الأطفال العاملين على الماكينات؟ هل عمَلُهم هذا ضروري، أيها المسئول عن الثروة؟ كم يَنفطِر قلبي من أجلهم! كم تطلعتُ طويلًا لفعل شيء من أجلهم؛ أن أُغيِّر الظروف حتى لا يضطر الأطفال إلى الكدح والعمل الشاق، وحتى ينالوا وقتًا للعب في طفولتهم المسروقة. هذه هي حقيقة الأمور، الوقت الذي يُفتَرض أن يقضيه الأطفال في اللعب والمرح يُسخَّر نحو صناعة الأرباح. لهذا السبب أنا مُعجبة بهوارد نوكس. لأنه يسمي الأمور بأسمائها. لأنه يُحاول فعل شيء من أجل هؤلاء الأطفال. ما الذي حاولتَ أنت فعله مِن أجلهم؟

ستاركويذر: العواطف! هي العواطف! المسألة أضخم وأعقد من ذلك بكثير، وأنتِ لا تستطيعين استيعابها. لا يُمكن لأي امرأة أن تفهم الأمر. وذلك هو ما يجعلكِ تهربين نحو العاطفة. وهذا هو الخطب في نوكس هذا؛ العواطف. لا يُمكنكِ أن تُديري حكومة تمثل تسعين مليون شخص بمجرَّد العواطف، ولا بالأفكار والمُثُل المجرَّدة عن العدالة والحق.

مارجريت: لكن إذا أُقصيَت العدالة والحق فما الذي سيتبقَّى إذن؟

ستاركويذر: نحن نعيش في عالمٍ عملي، ويجب أن يُديره رجال عمليُّون مُفكِّرون، وليس أشباه مُفكرين فسدت عقولهم بالأفكار التي لم يفهموا سوى نصفها، والتي استقوها من الكُتاب والثوار الفرنسيين؛ الذين وضعوها منذ قرن ونصف قرن من الزمان.

(تظهر على مارجريت علامات نفاد الصبر، ليس قلقًا من هذه المشادة الكلامية مع والدها، لكنَّها تتوق إلى تغيير ملابس الخروج التي ترتديها.)

لا تنسَي يا ابنتي أن أباكِ يعرف ما في الكتب تمامًا مثلما يعرفها أي جامعي تخرج في كليةٍ متخلِّفة في جامعة أوريجون. أنا أيضًا أيام دراستي الجامعية انخرطتُ في نظريات السعادة العالَمية والعدل والإنصاف، وكانت لي رؤاي وأحلامي الخاصة. لم أكن أعرف وقتها ضَعفَ وهشاشةَ وفسادَ الطينة البشرية. لكنَّني نضجت من تلك المرحلة وأصبحت رجلًا. وبعض الرجال لا يَنضجون أبدًا ولا يخرجون من تلك المرحلة. وهذه هي مشكلة نوكس؛ فما زال حالِمًا، بل حالمًا خطيرًا.

(يتوقَّف عن الحديث لحظة، ثم يزمُّ شفتَيه الرفيعتَين.)

لكنه ما لديه يُوشك أن ينفد.

مارجريت: ماذا تعني بقولك هذا؟

ستاركويذر: لقد جرَّ على نفسه أن يُلقي خطابًا في الغد، حيث سيطلب منه الحاضرون أن يُقدِّم أدلَّته على التهم اللاذعة التي وجَّهها ضد إدارتنا، وضدنا نحن؛ أباطرة الثروة، إن شئتِ أن تُطلقي علينا ذلك. ولن يكون قادرًا على تقديم أدلَّة على كلامه، وستَضحك منه الأمة. وستكون هذه هي الخاتمة السياسية للسيد علي بابا وحلمِه.

مارجريت: إنه حلمٌ جميل. ولو كان هناك المزيد من أمثاله لأصبح الحلم حقيقة. في نهاية المطاف، الحالِمون هم من يبنون ويُعمِّرون ويحظون بالخلود. قد تكتشف أنه من الصعب تدميره. لكني لا أستطيع البقاء هنا والمجادلة معك في ذلك يا أبي. فأنا ببساطة مُضطرَّة للذهاب وتغيير ملابسي.

(توجِّه حديثها إلى كوني.)

سيكون عليكِ أن تستقبلي الحاضرين يا عزيزتي. وسأعود من فوري.

(يدخل جوليوس روتلاند. تتقدَّم مارجريت نحوه لاستقباله فتُصافحه.)

أرجو أن تسامحني على اضطراري للذهاب للحظة.

روتلاند (يُحيِّي الآخرين)**:** اجتماعٌ عائلي على ما أرى.

مارجريت (في طريقِها للخروج)**:** لا؛ مجرَّد نقاش حول الأحلام والحالمين. وسأتركك لتحلَّ مكاني حتى أعود.

روتلاند (ينحني لها)**:** بكل سرور. الحالمون هم البنَّاءون الحقيقيون. لكن … ما هو الحلم ومَن تَقصدون بالحالمين؟

مارجريت (تتوقَّف لبرهة في المدخل)**:** حلم العدالة الاجتماعية، واللعب بنزاهة، والصفقة المُنصِفة للجميع. أما الحالم فهو السيد نوكس.

(ينزعج روتلاند جدًّا حتى إنها تتباطأ في المدخل لتستمع لذلك.)

روتلاند: ذاك الرجل! لقد أهان الكنيسة وسبَّها. إنه …

كوني (مُقاطِعة روتلاند)**:** لقد قال إنَّ رجال الكنيسة يسرقون من الرب. وأتذكر قوله بأنه كان ثمَّة مسيحيٌّ حقيقيٌّ واحد فقط، وأنه قد مات مصلوبًا.

مارجريت: كان يقتبس عن نيتشه.

ستاركويذر (موجهًا كلامه إلى روتلاند، بابتهاج هادئ)**:** لقد خدعك بذلك.

روتلاند (بغضبٍ متَّزن)**:** نيتشه كافر ولعَّان يا سيدي. وأي إنسان يقرأ لنيتشه أو يَقتبس من كلامه كافر مثله. وحين يَلقى مثل هذا الأدب الخبيث رواجًا في أمريكا فإن هذا أمرًا يُنذر بالسوء.

مارجريت (تُقاطعه ضاحكة)**:** سأترك النزاع بين يدَيك سيدي الفارس. وتذكَّر … الحلم والحالم.

(تخرج مارجريت.)

روتلاند (وهو يهزُّ رأسه)**:** لا أستطيع أن أستوعب ما سيحلُّ بالجيل الحالي. خذ ابنتك على سبيل المثال. قبل عشر سنوات كانت مُساعِدةً ملازمة لي، جادة ومخلصة في جميع أعمالنا الخيرية الصغيرة.

ستاركويذر: هل طوت صفحة الأعمال الخيرية؟

كوني: بل هي أعمال الرعاية الآن، بالإضافة إلى رياض الأطفال.

روتلاند (بتجهُّم)**:** إن الكتَّاب أمثال نيتشه ومن يقرءون لهم مثل نوكس، هم المسئولون.

(يدخل السيناتور دوسيت وزوجته من الخلف.)

(تتقدم كوني لتُرحب بهما. يعرف روتلاند السيدة دوسيت، وتقدمه كوني للسيناتور دوسيت.)

(في تلك الأثناء، ودون أن يُكلِّف نفسه عناء تحية أحد، وبما يُبدي رغبته وأسلوبه، يتقدم ستاركويذر عبر الغرفة نحو المقدمة جهة اليمين ويَنتقي أحد المقاعد العديدة الموجودة، ويجلس عليه ويَسحب من الجيب الداخلي لمعطِفه دفترًا نحيلًا ويشرع في الانغماس في محتوياته.)

(يجتمع دوسيت وروتلاند ويتمشَّيان إلى مؤخَّر الغرفة جهة اليسار ويجلسان هناك، بينما تجلس كوني والسيدة دوسيت إلى طاولة الشاي في يسار المقدمة. تدقُّ كوني الجرس للخادم.)

السيدة دوسيت (تنظر باهتمام نحو ستاركويذر وتتحدث بصوتٍ منخفض)**:** هذا هو والدك، أليس كذلك؟ لكم رغبت في مقابلته!

كوني (بنَبرة لطيفة)**:** تعلمين أنه غريب الأطوار. من الممكن أن يتجاهل الجميع هنا ظهيرة اليوم، وقد ينهض ويغادر المكان فجأةً وحتى دون أن يقول وداعًا.

السيدة دوسيت (بتعاطف)**:** نعم، أفهم ذلك؛ فهو رجلٌ ذو مسئولياتٍ كبيرة. لا بد أن عقله مشغول بالكثير من الأمور. إنه رجلٌ رائع ... يقول زوجي إنه الأعظم في التاريخ المعاصر ... إنه أقوى من عشرات الرؤساء، ومن ملك إنجلترا ومن القيصر مجتمعَين.

(يدخل الخادم حاملًا وعاء الشاي وملحقاته، وتبدأ كوني في تقديم الشاي، كل فنجان مصحوب بالتمتمة المتوائمة معه «قطعتا سكر؟» «واحدة فقط رجاءً» «ليمون» ... إلخ.)

(يأتي روتلاند ودوسيت نحو المائدة لأخذ الشاي، حيث يظلَّان واقفَين.)

(كوني — التي تنظر بقلق عبر الغرفة نحو والدها وتفكر للحظة — تُعِدُّ فنجانًا من الشاي ومعه طبقٌ صغير به بعض البسكويت الرقيق، وتعطيهما لدوسيت الذي يظهر عليه التوتر.)

كوني: خذها لأبي لو سمحت يا سيناتور.

(لاحظ أن ستاركويذر طوال بقية هذا الفصل سيكون مثل كائنٍ منعزل عما حوله، كأنه ملك يجلس على عرشه. يتقاسم مأدبة الشاي مع مارجريت. يأتي الرجال إليه ويتحدَّثون معه. يُرسل هو في طلبهم. يروحون ويجيئون حسب

أمره. الوضع بالكامل — ربما لا شعوريًّا من جانبه — أشبه بكونه الآمر الناهي حيثما حلَّ. وهذا الوضع مقبول من الآخرين جميعًا؛ لأنه في الواقع رجلٌ عظيم وقائد بالفعل. الشخص الوحيد الذي لا يَخاف منه هو مارجريت؛ برغم أنها تَستسلِم له ليفعل كل ما يحلو له في حفل شاي ما بعد الظَّهيرة الذي تُقيمه.)

(يحمل دوسيت فنجان الشاي وطبق البسكويت عبر المسرح إلى ستاركويذر. والأخير لا يُلاحظ قدومه في بادئ الأمر.)

كوني (التي كانت تُراقب المشهد)**:** الشاي يا أبي، ألا تَرغب في فنجان من الشاي؟

(طوال المشهد التالي بين ستاركويذر ودوسيت، يقف الأخير حاملًا الشاي والبسكويت بلا حول ولا قوة وفي موقفٍ ضعيف. وفي الوقت نفسه يُقدِّم الشاي لروتلاند ويظلُّ جالسًا إلى المائدة يتحدَّث إلى السيدتَين.)

ستاركويذر (ينظر إلى كوني أولًا ثم يُحدِّق في فنجان الشاي. يُهمهم رافضًا ويرفع عينَيه للمرة الأولى ليَنظر إلى وجه الرجل الآخر. وعلى الفور يُغلق دفتره على إصبعه ليُحدِّد موضع قراءته)**:** أوه، هذا أنت.

دوسيت (يُحاول جاهدًا أن يبقى هادئًا)**:** من دواعي سروري يا سيد ستاركويذر، وإنها لمفاجأة سارة أن أقابلك هنا. لم أكن أظن أنك تَرتاد تجمُّعاتٍ بسيطة من هذا النوع.

ستاركويذر (بشكل مُفاجئ وقاطع)**:** لماذا لم تَحضر عندما استدعوك هذا الصباح؟

دوسيت: كنتُ مريضًا؛ كنت ملازمًا الفراش.

ستاركويذر: هذا ليس عذرًا أيها السيد. عندما يتم استدعاؤك يتحتَّم عليك الحضور. هل تفهم؟ لقد أُعيد مشروع القانون مرةً أخرى. لماذا أُعيد مرةً أخرى؟ أنت قلتَ لدوبلمان إنك سوف تتولى أمره.

دوسيت: كانت سقطة. ومثل هذه الأمور تحدث.

ستاركويذر: ما خطب تلك اللجنة؟ أليس لديك أي تأثير على زمرة الأعضاء في مجلس الشيوخ؟ إن لم يكن لك تأثير، أخبرني؛ وسأُحضر أحدًا غيرك له هذا التأثير.

دوسيت (بغضب)**:** أنا أرفض أن أُعامَل بهذه الطريقة يا سيد ستاركويذر. لديَّ شيء من احترام الذات ...

(يُهمهم ستاركويذر مشككًا.)

شيء من اللياقة ...

(يُهمهم ستاركويذر ثانية.)

ومكانة بارزة في ولايتي. أنت تَنسى يا سيدي أن مكانتي ليست هينة في المؤسسة الحكومية.

ستاركويذر (مقاطعًا إياه بحدةٍ شديدة لدرجة أن دوسيت أسقط فنجان الشاي والطبق على الأرض)**:** لا تُكشِّر لي عن أنيابك. أنا أستطيع أن أرفعك وأستطيع أن أُحطمك. تلك المؤسسة الحكومية التي تتحدَّث عنها تتبع لي.

(تجحظ عينا دوسيت؛ إنه يتعلَّم شيئًا جديدًا الآن. ولكي يُخفي مشاعره، ينحني ليلتقط الفنجان والطبق من على الأرض.)

اترك تلك الأشياء وشأنها! أنا أتحدث إليك.

(يعتدل دوسيت في خفَّة واقفًا يُصغي باهتمام.)

(تدقُّ كوني — التي كانت تشاهد ما يحدث — الجرس لاستدعاء الخادم.)

أنا اشتريتُ المؤسَّسة الحكومية هذه، ودفعت ثمنها. أنت أحد الممتلكات المنقولة التي جاءت مع تلك الماكينة. لقد جرى تعيينك كسيناتور لتُطيع أوامري. فهمت؟ أفهمت؟

دوسيت (مهزومًا)**:** أنا ... فهمت.

ستاركويذر: يجب إيقاف مشروع القانون هذا.

دوسيت: أمرك يا سيدي.

ستاركويذر: وبهدوء، دون إثارة عناوين الصحف بشأنه.

(يُومئ دوسيت موافقًا.)

ستاركويذر: الآن يمكنك الانصراف.

(يمضي دوسيت مبتعدًا ببطءٍ وضعف عبر الغرفة وينضم إلى مجموعة لدى مائدة الشاي.)

(يدخل تشالمرز وهوبارد من على اليمين، يَضحكان من أمرٍ ما. وحالما يلمحان ستاركويذر تنقطع ضحكاتهما على الفور وترتسم عليهما أماراتُ الجد.)

(ومن دون مصافحة باليد، بالكاد يردُّ ستاركويذر تحية هوبارد.)

ستاركويذر: توم، أريد أن أتحدَّث إليك.

(يَفهم هوبارد الإشارة ويتقدَّم نحو مائدة الشاي.)

(يدخل خادم. توجهه كوني إلى رفع الطبق والفنجان المكسورَين من على الأرض. وبينما يقوم الخادم بذلك، يظلُّ ستاركويذر صامتًا. يتفحَّص دفتره، بينما يقف تشالمرز في غير ارتياح ينتظر إرادة الرجل الآخر. وفي الوقت نفسه تدور ثرثرة عند طاولة الشاي. يُحيِّي هوبارد الآخرين ويقبل أو يرفض فنجان شاي.)

(يخرج الخادم.)

ستاركويذر (يُغلق الدفتر على إصبعه وينظر إلى تشالمرز بحدة)**:** توم، يجب أن تنتهي تلك المسألة التي في نيويورك. هل تفهم ذلك؟

تشالمرز (مُضطربًا): كان هوبارد يتحدث.

ستاركويذر: لا، ليس هوبارد. ولكنِّي تلقيتُ تقارير من مصادرَ أخرى.

تشالمرز: إنها مسألةٌ هيِّنة.

ستاركويذر: أنا أعرف أفضل منك. لديَّ بيانٌ كامل حوله. وإذا أردت، يمكنني أن أزوِّدك بكل التفاصيل وكل لقاء. أنا أعلم جيدًا. ليس من المسموح النقاش بأي شكل. أريد أن يتوقف الأمر.

تشالمرز: لم أتخيَّل مطلقًا ولو للحظة واحدة أنني ... كنتُ طائشًا.

ستاركويذر: لا تنسَ أبدًا أن كل طيش من رجل في مثل منصبك هو حماقة وتهور. إن علينا واجبًا، وهو واجبٌ عظيم وجليل. على أكتافنا يقع عبء مصائر تسعين مليون إنسان. إن فشلنا في واجبنا سيَهلكون. والغوغائيُّون الجُهلاء يَلعبون على العواطف الوحشية للشعب. وإذا اتبع الشعب طريقهم فسيَضلون وتُضيع البلاد حضارتها. لا نريد أن نعود إلى العصور المظلمة مرةً أخرى.

تشالمرز: حقًّا، لم أفكر أبدًا في أن الأمر يَنطوي على هذا القدر من الخطورة.

ستاركويذر (يهزُّ كتفَيه ويرفع حاجبَيه)**:** لماذا قد تعرف كل ذلك على أيِّ حال؟ أنت مجرَّد ترس في آلة. وأنا، وبضعة رجالٍ مجتمعين معي، نمثل الماكينة نفسها. وأنت ترسٌ نافع؛ أكثر نفعًا من أن نَخسرك ...

تشالمرز: تخسرونني؟ أنا؟

ستاركويذر: ما عليَّ سوى أن أرفع يدي في أي وقت ... أتفهم؟ ... في أي وقت، فتخسر أنت على الفور. نعم أنت تسيطر على ولايتك. هذا رائع. لكن لا تنسَ أبدًا أن بإمكاني — إن أردتُ — أن أستحوذ يوم غدٍ على ماكينتك وأسحبها من ملكيتك. أعلم أنك لا تستطيع أن تُغيِّر من نفسك، لكن في سبيل القضايا الكبيرة التي على المحكِّ، ومِن أجلها، يجب أن تكون حذرًا، فائق الحذر. نحن مُجبرون على العمل بأدواتٍ مهزولة. إنك رجل تعيش في رغد وترف، وترتاد أماكن الملذَّات. وكثيرًا ما تعاقر الشراب. لكن قلبك ضعيف. أوه، لديَّ تقرير طبيبك الخاص. لكن، لا تجعل من نفسك أُضحوكة ولا تجعلنا كذلك. وإلى جانب ذلك، لا تنسَ أن زوجتك ابنتي. إنها امرأةٌ قوية، مفخرة لكلينا. فاحذر أن تُشوِّه سمعتها.

تشالمرز: لا بأس، سأكون حَذِرًا. لكن ما دمنا نتحدَّث حول هذا الأمر، فهناك شيء أحب أن أُحدِّثك بشأنه.

(يسود الصمت برهة، يكون انتظار ستاركويذر فيها مبهمًا.)

تشالمرز: ذلك المدعو نوكس ومادج. إنه آتٍ إلى المنزل. إن كلًّا منهما مقرَّب من الآخر جدًّا.

ستاركويذر: وبعدُ؟

تشالمرز (يردُّ بسرعة)**:** أوه، ليس من باب الشك أو أي شيء من هذا القبيل، أؤكِّد لك. لكن لا يبدو لي أنه من الملائم أن تكون ابنتك وزوجتي على وئام مع ذلك الفَوضوي العُدواني الذي هو دائم الهجوم علينا وعلى كل ما نُمثله.

ستاركويذر: تحدَّثتُ معها عن هذا الموضوع ولكن قُوطع حديثنا.

(يُقطِّب حاجبَيه مفكرًا.)

أنت زوجها. لماذا لا تتعامل معها بنفسك؟

(تدخل السيدة ستاركويذر من مؤخَّر المسرح، تتطلع في أرجاء الحجرة، ثم تنحني تُحيِّي الجميع، بعدها تحدِّد مكان ستاركويذر وتتجه نحوه.)

تشالمرز: ماذا بإمكاني أن أفعل؟ إن لها إرادتها الخاصة ... وهي مِن نفس نوع إرادتك أنت. إلى جانب أنني أعتقد أنها تَعرف عن ... بعض حماقاتي.

ستاركويذر (بنبرةٍ ماكرة)**:** تلك الحماقات البسيطة؟

(يوشك تشالمرز على الرد، لكنه يلاحظ السيدة ستاركويذر تقترب.)

السيدة ستاركويذر (تتحدَّث بنبرة نكد وتبرُّم، وخلال حديثها الرنان يَنغمِس ستاركويذر في مطالعة دفتره)**:** أوه، ها أنت ذا يا أنتوني. أعتقد أنك تتحدث في أمور السياسة. يجب أن نغادر بمجرد أن أتناول فنجانًا من الشاي. لا يبدو تومي على ما يرام. مارجريت تحبُّه لكنها لا ترعاه بشكلٍ صحيح. لا أعرف كيف سيكون شكل العالم حين لا تعرف الأمهات كيف يربين أبناءهنَّ. تلك هي مارجريت المشغولة بروضات أطفال الأحياء الفقيرة، تعتني بأطفال الجميع عدا ابنها. لو أنها فقط تهتمُّ بواجباتها الكنَسية بالقدر نفسه من الحماس! إن السيد روتلاند مُستاء منها. سوف أُكلِّمها في هذا الأمر ... لكن يُستحسَن لو تكلمها أنت يا أنتوني. ذلك أنني لا أجد لدى مارجريت آذانًا صاغية في معظم الأوقات. إنها نزَّاعة لفعل ما يحلو لها مثلك تمامًا. في زمني كان الأطفال يَحترمون والديهم ويُطيعونهم. لكن ما يجري الآن هو ما نجنيه من عصر السرعة هذا. لم يَعُد هناك وقت لأي شيء. والآن يجب أن أتناول الشاي ثم أذهب مسرعة. يَنبغي أن تُبدِّل كوني ملابسها من أجل حفل العشاء.

(تَعبُر السيدة ستاركويذر الغرفة نحو مائدة الشاي، وتحيي الآخرين فردًا فردًا، وتقدم لها كوني الشاي.)

(يَنتظِر تشالمرز بكل احترام بجانب ستاركويذر.)

ستاركويذر (يَرفع عينيه عن دفتره)**:** يكفي حديثنا هذا يا توم.

(يُوشك تشالمرز على المضي للانضمام إلى الآخرين عندما تُسمع أصوات خارج المدخل الخلفي للحجرة، وتدخل مارجريت تصحبها دولوريس أورتيجا، زوجة الوزير البيروفي، ومعهما ماتسو ساكاري، سكرتير المفوض الياباني؛ كانت قد التقتهما أثناء دخولهما إلى المنزل.)

(يُغيِّر تشالمرز مساره ويُقابل المجموعة المذكورة. يعرف دولوريس أورتيجا فيحييها، ويجري تقديمه إلى ساكاري.)

(تمرُّ مارجريت بين الضيوف تحييهم وما إلى ذلك. ثم تحل محل أختها كوني على طاولة الشاي وتشرع في توزيع الشاي على القادمين الجدد.)

(تبدأ المجموعات في التشكل ببطء والجلوس في أرجاء المسرح على النحو التالي: تشالمرز ودولوريس أورتيجا؛ ثم روتلاند ودوسيت والسيدة ستاركويذر؛ ثم كوني والسيد دوسيت وهوبارد.)

(يَحمل تشالمرز الشاي إلى دولوريس أورتيجا.)

(كان ساكاري يتلكَّأ إلى جوار المائدة بانتظار الشاي ويُثرثر مع مارجريت وتشالمرز وغيرهما.)

مارجريت (تُقدم فنجان شاي إلى ساكاري)**:** أنا خَجِلة جدًّا من تقديم هذا الشاي لك؛ لأنني على يقين من أنك تفزع من طرقنا البربرية في عمل الشاي.

ساكاري (يَنحني لها)**:** هذه حقيقة؛ فالشاي الأمريكي والشاي الإنجليزي يختلفان اختلافًا جذريًّا عن الشاي في بلادي. لكن المرء يتعلَّم كما تعرفين. لقد أمضيت فترة تدريب على الشاي الأمريكي من سنواتٍ طوال مضَت، عندما كنت أدرس في جامعة ييل. أؤكد لكِ أن الأمر كان محيرًا في البداية، لكن في البداية فقط، ثم أعتقد أني بدأت في ... ماذا أُسميه؟ ... التعود على الشاي المحضَّر بطريقتكم.

مارجريت: أنت لطيفٌ جدًّا في التغاضي عن عيوبنا.

ساكاري (ينحني لها)**:** على العكس يا سيدتي، فأنا لا أرى — ودائمًا لا أرى — أي نقيصة في بلدكم الرائع هذا.

مارجريت (ضاحكة)**:** أنت لطيف على الدوام يا سيد ساكاري.

(يظهر نوكس على عتبة المدخل الخلفي، ويتوقف مترددًا لبرهة.)

ساكاري (يُلاحظ وجود نوكس، ويتلفَّت حوله لينتقي مجموعة ينضمُّ إليها)**:** إذا سمحتِ لي فسأنسحِب الآن وأتناول هذا ... الشاي.

(ينضمُّ إلى مجموعةٍ مؤلَّفة من كوني والسيدة دوسيت وهوبارد.)

(يتقدَّم نوكس إلى مارجريت، ومظهره يشي بالارتباك والحرج بسبب نقص خبرته في مثل هذه المناسبات الاجتماعية. يُحيِّي مارجريت والموجودين في المجموعة الأقرب لها.)

نوكس (يتحدَّث إلى مارجريت)**:** لا أعرف لماذا جئت إلى هنا. أنا لا أنتمي إلى هذا المكان. كل ما فيه غريب عليَّ.

مارجريت (مازحة، وتحضر له الشاي في الوقت نفسه)**:** علي بابا بنفسه يدخل مرة أخرى إلى وكر الأربعين حرامي. لكن الواقع أن ساعتك ومحفظتَك في أمان من السرقة هنا.

(يُومئ نوكس معترضًا على فكاهتها.)

لا تكن جادًّا هكذا. يَنبغي أن تسترخي في بعض الأحيان. أنت تعيش في توترٍ كبير.

(تنظر نحو ستاركويذر.)

ها هو زعيم الفوضويين هناك، التنِّين الذي تُحاول ذبحه.

(ينظر نوكس نحو ستاركويذر في تحيُّر وارتباك واضحَين.)

الرجل الذي يُمسك بمجامع صناديق التأمين على الحياة، والذي يُسيطر على سلاسل من البنوك والشركات الائتمانية أكثر من كل ما تَملكه عائلة روتشيلد بمائة مرة؛ الذي دمج صناعات الحديد والصلب والفحم والشحن وجميع الصناعات الأخرى؛ الرجل الذي يُعيق قانون عمل الأطفال الذي تحاول تمريره، وباقي التشريعات الإصلاحية التي تنادي بها. باختصار، هذا هو والدي.

نوكس (ينظر باهتمام نحو ستاركويذر)**:** كان ينبغي عليَّ أن أتعرف عليه من صوره التي رأيتها. لكن لماذا تقولين عنه مثل هذه الأشياء؟

مارجريت: لأنَّها كلها أمورٌ حقيقية.

(يبقى نوكس صامتًا.)

أليسَت بالفِعل هي الحقيقة؟

(تضحك.)

لا داعي للإجابة. أنت تعرف الحقيقة، كل الحقيقة المريرة. هذا وكر اللصوص. خذ على سبيل المثال السيد هوبارد هناك، صحفيُّهم الموثوق الملازم للمؤسسات.

نوكس (تعبيرات وجهه تنم عن الاشمئزاز)**:** أعرفه. إنه مَن تبنى موقف شركة «ستاندرد أويل» في القصة بعد أن أمضى سنوات يسيء إليها في مجلات الفضائح الزائفة. لقد أجبرهم على أن يدفعوا إليه ثمن قلمه، هذا كل ما في الأمر. وهو الكاتب الأبرز في مجلة كارترايت الآن، مذ غيَّرت المجلة سياستها وأصبحت داعمةً للرجعية. أنا أعرفه؛ إنه رجلٌ مخادع وغير شريف تمامًا. فعلًا في الحقيقة أنا مثل علي بابا، والواقع أني لا أعرف لماذا أنا هنا.

مارجريت: أنت هنا يا سيدي لأني أحب حضورك.

نوكس: أنا وأنتِ لدينا الكثير من القواسم المشتركة.

مارجريت: المستقبل.

نوكس (يَنظر إليها بجرأة بعيونٍ لامعة)**:** في بعض الأحيان أخشى أن تكون هناك أسبابٌ مباشرة وآنية أكثر من مجرد المستقبل.

(تنظر إليه مارجريت مُنتبِهة، وفي الوقت نفسه يظهر عليها السرور لما قاله.)

أسباب تخصكِ أنتِ.

مارجريت (مسرعة)**:** لا تنظر إليَّ بهذه الطريقة. إن عينَيكَ تومضان. وقد يراك أحد ويُسيء فهم الأمر.

نوكس (بارتباك ورعونة)**:** لم أكن أدرك أنني ... أنني أنظر إليكِ ... بأيِّ شكل قد ينمُّ عن ...

مارجريت: سأُخبرك لماذا أنت هنا. أنت هنا لأنني دعوتك.

نوكس (بأمارات تنمُّ عن الحماس)**:** وأنا سآتي في أي وقت تطلبينني، وسأذهب حيثما تريدين مني الذهاب.

مارجريت (مُستنكِرة)**:** أرجوك، من فضلك ... لقد أرسلت إليك من أجل الخطاب الذي ستُلقيه. لقد سمعتُ عنه من الجميع ... ما بين تذمُّر وغمغمة وتنبؤاتٍ مريعة. أعلم كم أنت مشغول، ولم يكن ينبغي بي أن أطلب منك الحضور. لكن لم تكن هناك طريقةٌ أخرى، وكنت أنا في غاية القلق.

نوكس (مسرورًا)**:** من المُستغرب جدًّا أنكِ — وأنت من تكونين وتنتسبين إلى هذا المجتمع — تهتمين برفاهة وحياة عامة الناس.

مارجريت (بتعقُّل وحصافة)**:** أبدو كخائنة في معسكري. لكن كما كان يقول والدي منذ قليل، إنني أيضًا لي حلم حلمت به. حلمتُ به كما تحلم الفتيات؛ الجمهورية الأفلاطونية واليوتوبيا التي كتبها مور؛ فتاة غارقة في كل أحلام الحالِمين بمجتمع فاضل.

(خلال كل حديثها التالي، يكون نوكس مهتمًّا بشدة بما تقول وعيناه تلمعان ويُنصِت إليها بانتباهٍ شديد.)

وقد حلمت أنني قد أستطيع أيضًا عمل شيء لإحلال عصر العدالة الكونية والشرف والإنصاف. وفي قلبي كرَّستُ نفسي لقضية الإنسانية. وجعلت لينكولن هو بطلي، ولا يزال على مكانته. لكنَّني كنت مجرَّد فتاة، وأين عساي كنت أجد هذا المسعى؟ كيف أعمل من أجله؟ كنتُ مقيَّدة بآلاف العوائق والقيود، ومُحاطة بآلاف التقاليد والأعراف. سخر منِّي الجميع عندما عبَّرت عن الأفكار التي تلتهب في داخلي. ماذا كان بمَقدوري أن أفعل؟ ما كنت غير امرأة. لم يكن لي حق التصويت ولا حتى حق الكلام. كان لا بدَّ لي أن أبقى صامتة. ألَّا أحرك ساكنًا. أما الرجال بحكمتهم الموقَّرة فقد فعلوا كل شيء. هم يُصوِّتون ويخطبون في الناس ويحكمون. أما مكان المرأة فكان البيت؛ لرعاية رجالٍ متعجرفين يَفعلون كل هذه الأشياء العظيمة.

نوكس: أنتِ تفهمين إذن لماذا أدعم حق المساواة في الاقتراع.

مارجريت: لكنَّني تعلمت، أو ظننت أنني تعلمت. لقد اكتشفت أمر السلطة مبكرًا. فوالدي يتمتَّع بالسلطة. إنه قطب، وأعتقد أنها الكلمة الصحيحة. كانت السلطة هي كل ما أحتاجه. لكن كيف أحصل عليها؟ كنت امرأة. ومرةً أخرى راودني حلمي؛ حلم جرى عليه تعديل. فقط عن طريق الزواج يُمكنني الفوز بالسُّلطة. إنك هكذا تحصل على معلوماتٍ موثوقة عني وعما أمثِّله وما أصبحت عليه. قابلت الرجل الذي سيُصبح فيما بعدُ زوجي. كان شريفًا قويًّا ورياضيًّا، يحبُّ الهواء الطلق، رجلٌ ثري وسياسيٌّ صاعد. أخبرني أبي أنني إذا تزوجتُه فسوف يضع في يدَيه سلطة الولاية، ويجعل منه حاكمًا، وأنه سيُنزِله بمجلس الشيوخ الأمريكي. وهكذا تكون قد حصلت على كل شيء.

نوكس: وبعدُ؟ … ماذا بعدُ؟

مارجريت: تزوجتُ، واكتشفتُ أن ثمَّة قوًى مؤثِّرةً أكثر مما كنت أتصوره من قبلُ. أخذوا زوجي بعيدًا عني وحوَّلوه إلى مساعدٍ سياسي لوالدي. وأصبحتُ أنا دون أي سلطة. لم أستطع فعل أي شيء لمسعاي الذي كنتُ أريده. انهزمت. ثم تراءت لي رؤيةٌ جديدة.

أن المستقبل هو ملك الأطفال. معهم يُمكنني أن ألعب دوري كامرأة. كنت قد أصبحت أُمًّا. لم يمكنني أن أفعل شيئًا أفضل من منح العالم ابنًا سليمًا معافًى وأنشئه صحيحًا متكاملًا شريفًا نبيلًا مفعمًا بالحياة. وإذا أديت هذا الدور جيدًا عبر ولدي، فسأكون قد أنجزت وحققت النتائج التي كنت أرجوها. عن طريق ولدي، يمكن إنجاز كل ما أريد من عمل لجعل العالم أكثر صحة وسعادة لجميع البشر. لقد لعبت دور الأم. هذا هو سبب تركي الجمعيات الخيرية الصغيرة البائسة التابعة للكنيسة وتكريس نفسي لأعمال رعاية المُحتاجين وإصلاح مساكن الفقراء وتأسيس رياض أطفال خاصة بي والعمل من أجل الأولاد والبنات الصغار الذين يصلون الدنيا على فطرتهم لا يعرفون شيئًا، والذين يتوقَّف عليهم نجاح المستقبل أو ضياعه.

نوكس: أنتِ رائعة. لقد عرفت الآن لماذا أهرع إلى الحضور عندما تطلبين مني المجيء.

مارجريت: ثم ظهرتَ أنت. كنتَ رائعًا. كنت فارسي الذي يحارب طواحين الهواء ويناطح كل القوى والامتيازات، ويسعى لانتزاع المستقبل من المستقبل وجعله واقعًا هنا في الوقت الحاضر. كنت متأكدة أنك ستُعاني الدمار والردى. لكنك ما زلت موجودًا على الساحة تُقاتل ببسالة. وخطابك الذي ستُلقيه غدًا ...

تشالمرز (الذي اقترب حاملًا فنجان دولوريس أورتيجا)**:** أجل، بشأن ذلك الخطاب. كيف حالك يا سيد نوكس.

(يتصافحان بالأيدي.)

فنجان من الشاي يا مادج. للسيدة أورتيجا. قطعتا سكر من فضلك.

(تُعدُّ مارجريت فنجان الشاي.)

الجميع متحمسون لسماع هذا الخطاب. وأعتقد أنك على وشك أن توجه ضربات ضدنا نحن تحديدًا.

نوكس (مبتسمًا)**:** ليس بأكثر مما تستحقُّون في واقع الأمر.

تشالمرز: الحقيقة، كل الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة؟

نوكس: بالضبط.

(يأخُذ فنجان الشاي من مارجريت.)

تشالمرز: صدِّقني نحن لسنا بشائنين ولا بأشرار كما نوصف. هناك جانبان لهذه المسألة. نحن نَبذُل مثلك قصارى جهدنا لفعل الصواب. وكنا نأمل — وما زلنا — أن نفوز بك إلى صفِّنا.

(يهزُّ نوكس رأسه بابتسامةٍ هادئة.)

مارجريت: أوه، كن صادقًا يا توم. أنتم لا تأمُلون في شيء من هذا القبيل. أنت تعلم أنكم تأمُلون في تدميره.

تشالمرز (يبتسم متجهمًا)**:** هذا ما يحدث عادةً لأولئك الذين لا نكسبهم لصفنا.

(يتحضَّر للذَّهاب حاملًا فنجان الشاي؛ ومتحدثًا إلى نوكس قائلًا) يمكنك إنجاز الكثير إذا كنتَ معنا. أما وأنت ضدنا فلن تحقق أي شيء، على الإطلاق.

(يعود مُتوجِّهًا إلى دولوريس أورتيجا.)

مارجريت (تعاجله)**:** أرأيت. لهذا كنتُ قلقة … لهذا أرسلت إليك. حتى توم يعترف بأن أولئك الذين لا يكسبونهم لصفِّهم يُلاقون الدمار. هذا الخطاب حدثٌ خطير ومهم. أنت تعرف كيف يتحكَّمون في المجلس بصرامة ويُسكِتون الرجال من أمثالك. إنهم هم — وهم وحدهم فقط — مَن أعطوك الفرصة لتلقي هذا الخطاب؟ فلماذا؟ ما السبب؟

نوكس (يبتسم بثقة)**:** أنا على علم بمُخططهم الصغير. لقد سمعوا بالتهم التي وجهتها ضدهم. يعتقدون أنني سأُلقي خطابًا ملتهبًا، وهم جاهزون للإيقاع بي في موقف من لا يحمل أدلةً تؤيد كلامه. إنهم مُستعدُّون بكل وسيلة ضدي. سوف يجعلونني أضحوكة. مُستعدون بوكالة أسوشيتد برس الصحفية، ومراسلي صحيفة واشنطن؛ كلهم مستعدون من أجل صنع الأضحوكة العظيمة التي ستُدمرني. لكني مُستعدٌّ لهم تمامًا، وأملك …

مارجريت: البراهين؟

نوكس: أجل.

مارجريت: الآن؟

نوكس: سيجري تسليمها لي الليلة؛ وثائق أصلية وصور لمُستندات وإفادات خطية …

مارجريت: لا تُخبرني بشيء. لكن أرجوك كن حذرًا! توخَّ الحذر!

السيدة دوسيت (مستنجدة بمارجريت)**:** ساعِديني يا سيدة تشالمرز.

(تُشير إلى ساكاري.)

السيد ساكاري يحاول أن يجعلني أبدو بمَظهرٍ سخيف.

مارجريت: مستحيل.

السيدة دوسيت: لكن هذا صحيح. لقد كان من الوقاحة أن …

تشالمرز (ساخرًا من السيدة دوسيت)**:** وقاحة! أوه، ساكاري!

ساكاري: السيدة العزيزة تحبُّ الفكاهة.

السيدة دوسيت: لقد كان من الوقاحة أن طلب مني أن أشرح له سبب ارتفاع الأسعار. يقول السيد دوسيت إن السبب هو أن الناس يَعيشون بترف.

ساكاري: يا له من بلدٍ رائع. الفقراء فيه فقراء لأنهم يُنفقون الكثير.

تشالمرز: ألا يُعزى ارتفاع الأسعار لزيادة إنتاج الذهب؟

السيدة دوسيت: السيد ساكاري هو من قال هذا بنفسه، وعندما اتَّفقت معه شرع في دحض هذا الكلام. لقد تعامل معي بصورةٍ مريعة.

روتلاند (يتنحنح معبرًا عن رأيه بحماسةٍ زائفة ومضجرة)**:** ستجد الإجابة في حركة تجارة المشروبات. إنَّ الخمور — الكحوليات — هي ما يُقوِّض صناعاتنا ومؤسساتنا وإيماننا بالرب؛ تُقوِّض كل شيء. في كل عام يشرب العمال كمياتٍ أكبر من الكحول. بطبيعة الحال، وبسبب عدم الكفاءة الناتجة عن هذا التعاطي، تصبح تكلفة الإنتاج أعلى، وبالتالي تُصبح الأسعار أعلى.

دوسيت: هذا بشكلٍ جزئي، على ما يبدو. ويترافق مع ما ذكرت ويُضاف إليه أن ارتفاع الأسعار هو بسبب أن الطبقة العاملة لم تَعُد تدخر أو توفر شيئًا. فلو ادَّخرت طبقتنا العاملة مثلما يفعل الفلاحون الفرنسيون؛ فإننا سنبيع أكثر في السوق العالَمي، ونعيش أوقاتًا أفضل.

ساكاري (وهو ينحني)**:** إذن حسبما فهمتُ، كلما كنتَ مقتصدًا ادخرتَ أكثر، وكلما زادت مدَّخراتك ازدادت مبيعاتك، وكلما ازدادت مبيعاتك تحسَّنت حياتك!

دوسيت: فعلًا بالضبط. بالضبط.

ساكاري: وكلما قلَّت مبيعاتك ازدادت صعوبة حياتك؟

دوسيت: هكذا تمامًا.

ساكاري: إذن لو أصبح الناس مُقتصدين واشتروا بضائع أقل، فإن حياتهم ستكون أصعب؟

دوسيت (متحيرًا)**:** نعم يبدو ذلك.

ساكاري: إذن يبدو أن الأوقات العصيبة الحالية تعود إلى حقيقة أن الناس مُقتصدُون أكثر من كونهم مُسرفين.

(يفزع دوسيت، وتُشيح السيدة دوسيت بيديها في يأس.)

السيدة دوسيت (مُلتفتة إلى نوكس)**:** ربما تستطيع أنت يا سيد نوكس أن تَشرح لنا سبب هذه الأوضاع المُفزعة.

(يغلق ستاركويذر دفتره على إصبعه ويُنصت.)

(يَبتسم نوكس لكنه لا يتكلَّم.)

دولوريس أورتيجا: أرجوك أن تَشرح لنا يا سيد نوكس. أنا مُتشوِّقة جدًّا لمعرفة سبب غلاء المعيشة في الوقت الحالي. لقد علمت صباح اليوم أن سعر اللحم ارتفع ثانية.

(يتردَّد نوكس في الحديث ويَنظر نحو مارجريت مُتشككًا.)

هوبارد: أنا واثق أنَّ السيد نوكس يستطيع تسليط الضوء على زاويةٍ جديدة لهذه المشكلة المُحيِّرة.

تشالمرز: وبالتأكيد أنت لن تتردَّد أو تخجل بين أصدقائك، فأنت تتمتَّع بمهاراتٍ خطابيةٍ قوية وعاصفة في المجلس.

نوكس (مناوشًا)**:** لم أكن أعرف من قبلُ أن مسائل من هذا النوع يُمكن أن تكون محور النقاش في مناسباتٍ كهذه.

ستاركويذر (بصورةٍ فظة وآمرة)**:** ما الذي يُسبِّب ارتفاع الأسعار؟

نوكس (بنفس الدرجة من الحدة والتأكيد التي كان عليها ستاركويذر)**:** السرقة!

(وكأنه فجَّر قنبلة في المكان، لكنَّهم استقبلوها في هدوء وابتسام، برغم أنها هزَّتهم بعنف.)

دولوريس أورتيجا: يا له من تفسير رومانسي! إذن فكلٌّ من يمتلك شيئًا قد حصل عليه بالسرقة.

نوكس: ليس تمامًا، لكن تقريبًا هذا هو الوضع. خذي السيارات على سبيل المثال. هذا العام أُنفِقَت خمسمائة مليون دولار على شراء السيارات. كل هذا تطلَّب أن يكدح الرجال في المناجم ومسابك المعادن، أن تَفنى عيون النساء في الخياطة في المصانع الاستغلالية للعمال، والورش التي تعمل فيها الفتيات كالعبيد مقابل أربعة أو خمسة دولارات في الأسبوع، أن يعمل الأطفال الصغار في المصانع ومحالج القطن؛ تطلَّب الأمر كل ذلك من أجل جمع الملايين الخمسمائة التي أُنفقَت هذا العام على السيارات. وقد نُهبت كل هذه الأموال من أولئك الذين قاموا بالعمل كلِّه.

السيدة ستاركويذر: كنت أعرف دائمًا أن هذه السيارات هي المسئولة عن كل الأشياء الفظيعة.

دولوريس أورتيجا: لكن يا سيد نوكس أنا أمتلك سيارة.

نوكس: عمالة وشقاء شخصٍ ما هي التي صنعت تلك السيارة. هل كنتَ أنت مَن صنعها؟

دولوريس أورتيجا: يا إلهي، لا! أنا اشتريتُها ودفعت ثمنها.

نوكس: إذن هل عملتِ من أجل صنع شيءٍ آخر، ثم استبدلتِ ثمرة عملك هذا بسيارتك؟

(برهة صمت.)

لم تجيبيني. إذن أفهم أنك تمتلكين سيارة صُنعت بشقاء شخصٍ آخر، ولم تبذلي أنت أي جهد من أجلها، في حين أن العمال الذين قاموا على صناعتها لم يتقاضَوا سوى الفتات، هذا ما أُسميه سرقة. أنتِ تسمينها ملكيةً خاصة. لكنها سرقة.

ستاركويذر (مقاطعًا دولوريس أورتيجا التي كانت على وَشكِ الرد): لكن بالتأكيد أنت رجلٌ ذكيٌّ، ويُمكنك أن ترى القضية من زوايا أوسع من مجرَّد أنها سرقة سيارات. فأنا رجل أعمال ذو شأن ولا أسرق السيارات.

نوكس (مبتسمًا): لا، ليس السيارات نفسها بالطبع. أنت تجري الأعمال على نطاقٍ أوسع.

ستاركويذر: تعني أنني أسرق؟

نوكس (يهزُّ كتفَيه)**:** إذا كنت ترى الأمر كذلك.

ستاركويذر: اعتبرني مثل أي رجلٍ عادي من ميسوري. وعليك أن تُوضِّح لي.

نوكس: وأنا اعتبرني رجلًا من تكساس. ويجب أن أفهم ما تفعلون.

ستاركويذر: سأنتقل فورًا إلى تكساس. وضِّح لي كيف أسرق على نطاقٍ واسع.

نوكس: حسنًا. أنت رأسماليٌّ كبير وصاحب اتحادات شركات وقطبٌ عظيم. هل تمانع في أن أعرض بعض الإحصائيات؟

ستاركويذر: تفضَّل.

نوكس: أنت تَستحوذ على حصةٍ مسيطرة في السِّكَك الحديدية بقيمة تسعة مليارات دولار؛ وبقيمة مليارَي دولار في الشئون الصناعية؛ وبمليار دولار في مجموعات التأمين على الحياة؛ وبما قيمته مليار دولار في مجموعات مصرفية؛ وما قيمته مليارَي دولار في الشركات الائتمانية. أُذكِّرك أنني لا أقول إنك تملك كل هذا، لكنَّك تستحوذ على حصةٍ مسيطرة من الأسهُم. وهذا هو كل ما يلزم. باختصار أنت تُمارس هيمنة على حصةٍ مسيطرة بنسبة من إجمالي الاستثمارات في الولايات المتحدة؛ بحيث يُمكنك أن تحدد وتيرة عمل ما يتبقى منها. والآن نَنتقِل إلى ما أريد إثباته. في السنوات القليلة الماضية أُضيف سبعون مليار دولار بشكلٍ مُفتعَل لرءوس أموال الصناعات الوطنية. وأعني بتلك الصناعات صناعات المياه النقية؛ المياه الصافية غير المعالَجة من أجل الاستخدام البشري. وأنت أيها القطب الكبير تعلم ماذا تعني المياه. أنا أقول إنها سبعين مليارًا، ولا يهمُّ إن كانت أربعين مليارًا أو ثمانين، فمقدار المال ضخم أيًّا كان. وماذا تعني سبعون مليار دولار من المياه؟ تعني أنه إذا زادت قيمتها بنسبة خمسة بالمائة فسيكون هناك ثلاثة مليارات ونصف المليار زيادة يجب دفعها مُقابل الأشياء التي تدخل فيها المياه هذا العام، وفي كل عام، بأكثر من القيمة الحقيقية للأشياء. يُضطر العمال للدفع مقابل هذا. تلك سرقة من جانبك. تلك هي الأسعار المُرتفِعة التي تصنعها أنت. من أضاف الماء؟ ومن الذي يَسرق عن طريق الماء؟ أفهمتني؟

ستاركويذر: أليس هناك مُقابل وأجور من أجل إدارة الأمور؟

نوكس: سمِّها ما شئت.

ستاركويذر: ألم أجعلهم يجنون دولارَين أكثر مما كانوا يتقاضَون من قبلُ؟ ألم أجعلهم أكثر سعادةً مِن قبل مجيئي؟

نوكس: وهل ما فعلتُه هو أكثر من الواجب المفروض الذي يَدين به أيُّ إنسان نحو أخيه الإنسان؟

ستاركويذر: أوه، أنت حالم وغير عملي. (يعود إلى مُطالعة دفتره.)

روتلاند (مُلقيًا بنفسه في المعمعة)**:** ومن أين أسرق أنا يا سيد نوكس؟ أنا الذي أتقاضى مجرَّد راتب مقابل التبشير بكلمة الرب.

نوكس: راتبك يأتي من الماء الذي تحدثت عنه. هل تريد أن تعرف من يدفع راتبك؟ ليس أبناء أبرشيتك من يدفعون. بل هم الأطفال الصغار الذين يكدحون في المطاحن والورش؛ كل بقية المستعبدين على عجلة الإنتاج هم من يدفعون لك راتبك.

روتلاند: أنا أستحق راتبي.

نوكس: هم من يدفعونه.

السيدة دوسيت: أعلن أيها السيد نوكس أنك أسوأ من السيد ساكاري. أنت فَوضوي.

(تتظاهَر بالارتعاش خوفًا.)

تشالمرز (مُوجهًا حديثه إلى نوكس)**:** أعتقد أن حديثك هذا جزء من خطابك الذي ستُلقيه غدًا.

دولوريس أورتيجا (تصفِّق بيدَيها)**:** إنها تجربة أداء! هو يُجرب خطابه علينا!

ساكاري: وكيف ستُعالج هذه الـ ... احم ... هذه السرقة؟

(يُغلق ستاركويذر دفتر ملاحظاته على إصبعه مرةً أخرى ويُنصت بينما يبدأ نوكس في الكلام.)

نوكس: الأمر في غاية البساطة. عن طريق تغيير الآلة الحكومية التي تقوم على شئون تسعين مليون شخص.

ساكاري: كنت أظن — حسبما تعلمت في جامعة ييل — أن آلة حكومتك ممتازة، الأكثر امتيازًا بين الجميع.

نوكس: لقد عفَّى عليها الزمن. إنها الآن على وشك أن تُلقى في مكبِّ النفايات. فبدلًا من أن تقوم على خدمتنا، هي تتحكم فينا وتتسيَّد علينا. أصبحنا نحن عبيدها. كل الحاضنة السياسية المكونة من المحتالين والمنافقين استولت على تلك الآلة وأفلتوا بها، ونحن معها أيضًا. باختصار أصبح يهيمن علينا المحتالون بدءًا من مجالس البلديات وصعودًا. إنه عصر السرقة.

هوبارد: لكن كل حكومة تمثل شعبها. وكل شعب يستحق الحكومة التي تحكمه. ولو أنه شعب أفضل لكانت حكومته أفضل.

(ستاركويذر يومئ برأسه متفقًا مع هوبارد.)

نوكس: هذه أكذوبة. وأقول لك الآن إن معدل الأخلاق والرغبة في إتيان السلوك الصحيح لدى شعب الولايات المتحدة أسمى بكثير من تلك الحكومة التي تسيء تمثيله. الشعب في الأساس يستحق حكومةً أفضل من تلك التي هي الآن ألعوبة في أيدي السياسيين، وتعمل لصالح السياسيين ولصالح المصالح التي يمثلها السياسيون. وإني لأتساءل يا سيد ساكاري عما إذا كنتَ قد سمعتَ من قبلُ عن قصة الآسات الأربعة.

ساكاري: لا أتذكَّر أني سمعتها من قبلُ.

نوكس: هل تفهم لعبة البوكر؟

ساكاري (مفكرًا)**:** نعم. إنها لعبةٌ رائعة. تعلَّمتها في جامعة ييل. وكانت مُكلِّفة للغاية.

نوكس: في واقع الأمر، تُذكرني هذه القصة بسياسيِّينا المحتالين. إنهم ليس لديهم أي وازعٍ أخلاقي. يرون السرقة كأنها صواب؛ صوابٌ تام. ولا يرون أي خطب في الترتيبات التي يَصنعُها الرجل الذي يُوزِّع الأوراق ليهب نفسه أفضل أوراق اللعب. بصرف النظر عن أنه يُميِّز نفسه عن باقي اللاعبين، فإن اللاعبين أنفسهم سيَستلمُون توزيع الأوراق منه بعد ذلك، ويَفعلون نفس ما فعله الأول ليُعوِّضوا أنفسهم.

دولوريس أورتيجا: لكن ما هي القصة يا سيد نوكس. أنا أيضًا أعرف البوكر وأريد أن أعرف القصة.

نوكس: حدثت القصة في ولاية نيفادا، في معسكر تعدين. شخصٌ وافدٌ جديد على المكان كان يُشاهد لعبة البوكر. كان يقف خلف مُوزِّع الأوراق، ورأى الموزع يختصُّ نفسه بأربعة آسات من أسفل الطاولة.

(يبدأ نوكس من تلك اللحظة يَروي القصة بطريقة أهل الغرب البطيئة والجذابة.)

انتقل الوافد الجديد حول الطاولة إلى اللاعب الذي يُواجه الموزِّع وقال له «اسمع، لقد رأيت الموزِّع للتوِّ يمنح نفسه أربعة آسات سحبها من أسفل الطاولة.»

نظر إليه اللاعب لحظة ثم قال له «وماذا في ذلك؟»

قال المستجد «أوه، لا شيء. حسبت فقط أنك قد تودُّ معرفة ذلك. أقول لك إن الموزع أعطى نفسه أربعة آسات سحبها من أسفل الطاولة.»

فقال له اللاعب «اسمع أيها السيد، من الأفضل ألَّا تلعب. يبدو أنك لا تفهم اللعبة، إنه «دوره هو» للتوزيع، أليس كذلك؟»

مارجريت (تنهض بينما هم يضحكون)**:** لقد تكلَّمنا في السياسة بما فيه الكفاية. دولوريس، أريدكِ أن تحدثيني عن سيارتك الجديدة.
نوكس (وكأنه فجأة تذكَّر شيئًا)**:** وينبغي لي أن أغادر الآن.

(ثم لمارجريت بصوتٍ مُنخفِض.)

هل يتحتَّم عليَّ أن أصافح كل هؤلاء الناس؟
مارجريت (تهزُّ رأسها وتتحدَّث بصوتٍ خفيض)**:** عزيزي المحبوب علي بابا.
نوكس (متجهِّمًا)**:** أعتقد أني جعلت من نفسي أُضحوكة هنا.
مارجريت (تتحدث بجدية)**:** على العكس من ذلك، أنت كنتَ مُبهجًا. أنا فخورة بك.

(وبينما يصافح نوكس مارجريت، ينهض ساكاري ويتقدم نحوهما.)

ساكاري: ينبغي أن أذهب أيضًا. لقد أمضيتُ نصف ساعة ساحرة هنا سيدة تشالمرز. ولن أوفيك الشكر مهما حاولت.

(يُصافح مارجريت.)

(يتقدَّم نوكس وساكاري ليغادرا من مؤخر المسرح.)

(لحظة خروجهما يدخل خادم حاملًا صينية تقديم البطاقات، ويتقدم بها نحو ستاركويذر.)

(تنضمُّ مارجريت إلى دولوريس أورتيجا وتشالمرز وتجلس معهما، وتشرع في الحديث عن السيارات.)

(يكون الخادم قد وصَل إلى ستاركويذر الذي يتناول البرقية من على الصينية ويفتحها ويَقرؤها.)

ستاركويذر: اللعنة!
الخادم: عذرًا يا سيدي.
ستاركويذر: أرسل لي السيناتور تشالمرز والسيد هوبارد فورًا.
الخادم: أمرك سيدي.

(يَقطع الخادم الغرفة نحو تشالمرز وهوبارد، فينهضان ويمضيان نحو ستاركويذر على الفور.)

(أثناء حدوث كل ذلك، تُعيد مارجريت تجميع المجموعات الثلاث المبعثرة في الحجرة في مجموعةٍ واحدة، وتجلس في مكان يُمكنها من مشاهدة ستاركويذر ومجموعته عبر المسرح.)

(يتريث الخادم ليتلقَّى أمرًا من مارجريت.)

(ينتظر تشالمرز وهوبارد واقفَين لدقيقة بينما يُعيد ستاركويذر قراءة البرقية.)

ستاركويذر (ينهض واقفًا)**:** أرسَلَ لي دوبلمان للتوِّ هذه البرقية. إنها من نيويورك ... من مارتينو. لقد خاننا أحدهم. أوراقي وملفات الخطابات نُهبت. عبَثَ أحدهم مع السكرتيرة المُؤتَمنة ... أتذكُر يا توم تلك المرأة الشابة التي في مُنتصَف عمرها؟ تلك هي. أين ذلك الخادم؟

(الخادم على وشك الخروج من المسرح.)

تعال! إلى هنا.

(يعود الخادم إلى ستاركويذر.)

اذهب إلى الهاتف واتصل بدوبلمان. قل له أن يأتي إلى هنا.
الخادم (متحيرًا)**:** معذرة يا سيدي.
ستاركويذر (منفعلًا)**:** سكرتيري الخاص. في منزلي. دوبلمان. أخبره أن يَحضر على الفور.

(يخرج الخادم.)

تشالمرز: لكن مَن قد يكون المسئول عن هذه السرقة؟

(يهزُّ ستاركويذر كتفَيه.)

هوبارد: أداة للابتزاز على الأرجح. سيُحاولون استنزافك ...
تشالمرز: إلا إذا ...

ستاركويذر (بنَفاد صبر)**:** ماذا؟
تشالمرز: إلا إذا كانت ستُستخدم غدًا في خطاب نوكس.

(يَظهر إدراك الأمر على وجه الرجلَين الآخرَين.)

السيدة ستاركويذر (كانت قد نهضَت)**:** أنتوني، يجب أن نذهب الآن. هل أنت مُستعد؟ ينبغي أن تذهب كوني لترتدي ملابسها.
ستاركويذر: لن أذهب الآن. خذي أنتِ وكوني السيارة.
السيدة ستاركويذر: يجب ألا تنسى أنك ذاهب إلى ذلك العشاء.
ستاركويذر (بضجر)**:** وهل أنسى أبدًا؟

(يدخل الخادم ويتقدَّم نحو ستاركويذر ثم يقف منتظرًا ريثما تنتهي السيدة ستاركويذر من حديثها التالي. يَستمع ستاركويذر لكلامها بصبر وبوجهٍ يخلو من التعبير.)

السيدة ستاركويذر: أوه، تلك الأمور السياسية التي لا تَنتهي أبدًا! هذا ما خُضنا فيه طوال ظهر اليوم؛ ارتفاع الأسعار والكسب غير المشروع والسَّرقة، السرقة والكسب غير المشروع وارتفاع الأسعار. هذا فظيع. عندما كنتُ فتاةً لم نكن نتكلم في مثل هذه الأمور. هيا بنا يا كوني.
السيدة دوسيت (تنهض وتنظُر نحو دوسيت)**:** ونحن أيضًا يجب أن نغادر.

(خلال المشهد التالي، الذي يركز على ستاركويذر، تودِّع مارجريت ضيوفها المغادرين.)

(تخرج السيدة ستاركويذر وكوني.)

(يخرج دوسيت والسيدة دوسيت.)

(في اللحظة التي تنهي فيها الملاحظة التي قالتها السيدة دوسيت حديث السيدة ستاركويذر، يلتفت السيد ستاركويذر دون أن يجيب أو أن يلاحظ زوجته وينظر نحو الخادم مستفسرًا عما فعله.)

الخادم: غادر السيد دوبلمان بالفعل قبل بعض الوقت متجهًا إلى هنا يا سيدي.

ستاركويذر: أدخله بمجرد وصوله.
الخادم: أمرك سيدي.

(يخرج الخادم.)

(تبقى مارجريت ودولوريس أورتيجا وروتلاند حول مائدة الشاي هذه المرة، حيث تُقدِّم مارجريت فنجان شاي آخر إلى روتلاند. ومن وقت لآخر تُلقي مارجريت نظرة فضول نحو مجموعة الرجال الجادِّين على الجهة الأخرى من المسرح.)

(يمعن ستاركويذر التفكير وحاجباه معقودان. ويُفكر هوبارد مليًّا بالمثل.)

تشالمرز: لو أنني فقط كنت مُتأكدًا أن نوكس يحوز تلك الأوراق، لكنتُ أمسكت بحلقِه وانتزعتُه منه.
ستاركويذر: لا داعي لمثل هذا الكلام الأحمق يا توم. هذا الأمر بغاية الأهمية.
هوبارد: لكن نوكس لا يمتلك مالًا. والسكرتيرة الموثوقة لدى السيد ستاركويذر عالية الأجر والثمن.
ستاركويذر: هناك مَن هو أكبر من نوكس خلف هذا الأمر.

(يدخل دوبلمان يَسير بسرعة وفي حالة من الاستثارة المنضبطة.)

دوبلمان (موجهًا حديثه لستاركويذر)**:** هل تلقيتَ تلك البرقية يا سيدي؟

(يُومئ ستاركويذر بالإيجاب.)

لقد تحدثت تليفونيًّا مع مكتب نيويورك — مع مارتينو — مباشرة. واعتقدت أن من الأفضل أن أتابع الأمر وأخبرك.
ستاركويذر: ماذا قال مارتينو؟
دوبلمان: تبدو الملفات كاملة الترتيب ولم تُمسَّ.
ستاركويذر: الحمد لله.

(خلال حديث دوبلمان التالي، يودِّع روتلاند مارجريت ودولوريس أورتيجا ويخرج من المسرح.)

(تنهض مارجريت ودولوريس أورتيجا بعد مُغادرته بدقيقة وتتَّجهان نحو المخرج. تُلقيان نظرةً فضولية نحو الرجال الواقفين لكن دون إزعاجهم.)

(تخرج دولوريس أورتيجا من المسرح.)

(تتوقف مارجريت في المدخل للحظة، وتُلقي نظرة قلق أخيرة على الرجال ثم تغادر المكان.)

دوبلمان: لكنها ليست كذلك يا سيدي. لقد اعترفَت الآنسة ستانديش السكرتيرة. فلمدةٍ طويلة اعتادت أخذ اثنين أو ثلاثة من الخطابات والوثائق معها من المكتب في كل مرة. وقد جرى تصوير العديد من تلك الأوراق وإعادتها ثانية إلى المكتب. لكن الأوراق الأكثر أهمية احتفظتْ بها وأعادَت بدلًا منها نسخًا بارعة التقليد. يقول مارتينو إن الآنسة ستانديش نفسها لا تَعرف ولا تستطيع التأكيد أي من هذه الوثائق التي أعادتها هو الأصل وأيها التقليد.

هوبارد: نوكس لم يفعل ذلك قط.

ستاركويذر: هل قال مارتينو مَن الذي كانت الآنسة ستانديش تعمل لحسابه؟

دوبلمان: لحساب جيرست.

(ظهر الذُّعر جليًّا على وجوه الرجال الثلاثة.)

ستاركويذر: جيرست!

(يتوقَّف عن الكلام مفكرًا.)

هوبارد: إذن فالأمر في النهاية ليس بهذه الخطورة. إنَّ أقصى ما يمكن أن يفعله جيرست هو أن يصنع بها ضجة في صحيفةٍ صفراء. وسواء كانت وثائق أصلية أم لا فإن البيئة التي ستنتشر فيها سوف تُشوِّهها وتُفقدها المصداقية لدى العامة.

ستاركويذر: أنا واثق أن جيرست قادر على أن يفعل أكثر من ذلك. بالتأكيد سوف يستغلها في صحيفته، لكن لن يفعل ذلك إلا بعد أن يستخدمها نوكس في خطابه. أوه، يا له من كلبٍ ماكر! ما كان ليجد لحظة أو طريقة أفضل من هذه ليوجِّه ضربة لي، وللإدارة وكل شيء. هذا كله من تخطيط جيرست. العمل على كسب الشعبية وتملُّق الجماهير. إغواء

نوكس ليقوم بهذا الكشف الدراماتيكي لتلك الوثائق على أرض المجلس في مثل هذا الوقت الحرج المعلَّقة فيه الكثير من مشروعات القوانين الهامة.

(مُوجِّهًا حديثه إلى دوبلمان.)

هل أعطاك مارتينو أي فكرة عن طبيعة الوثائق المسروقة؟

دوبلمان (مُشيرًا إلى ملاحظات جلبها معه)**:** بالطبع لا أَعرف أي شيء عنها، ولكنه تحدث عن خطابات جوديير ...

(تظهر على وجه ستاركويذر رغمًا عنه علامات خطورة المعلومات.)

وخطابات كاليدونيا، وجميع مُراسلات بلاك رايدر. وأشار أيضًا إلى ...

(يعود إلى الملاحظات التي في يده.)

خطابات أستونبري وجلوتز. وكان هناك خطاباتٌ أخرى كثيرة لم يُمكن التعرُّف عليها.

ستاركويذر: هذا فظيع!

(يتمالك نفسه.)

شكرًا دوبلمان. هلَّا عدت إلى المنزل الآن على الفور. اتصل بنيويورك ثانية واعرف التفاصيل الكاملة عن الأمر. سأُتابعك قريبًا. هل معك سيارة؟

دوبلمان: معي سيارة أجرة يا سيدي.

ستاركويذر: لا بأس، كن حذرًا.

(يخرج دوبلمان.)

تشالمرز: لا أعرف ما هي قيمة كل هذه الخطابات، لكن أستطيع أن أخمِّن أهميتها، ويبدو أنها خطيرة بالفعل.

ستاركويذر (بشراسة)**:** خطيرة! دعني أخبرك أنه لم يحدث انكشاف لأمر بهذه الخطورة في تاريخ البلاد من قبلُ. إن هذه الوثائق تعني مئات الملايين من الدولارات. وأكثر من ذلك؛ ضياع السلطة والنفوذ. والأكثر من ذلك، أنها تعني أن الغوغاء؛ الكتلة الكبيرة من

أصحاب العقول الصغيرة سيَنتفضُون ضدنا ويُدمِّرون كل ما عملته من أجلهم. ياالأولئك الحمقى! ياالغبائهم!

هوبارد (يهز رأسه في تشاؤم)**:** لا يُمكن لأحد أن يتوقَّع ما الذي سيحدث عندما يلقي نوكس ذلك الخطاب ويقدم البراهين.

تشالمرز: أمرٌ مؤسف. فالشعب قلق ومستثار بالفعل. إنهم يُستنفَرون باستمرار عبر أفواه الصحافة الراديكالية ومجلات الفضائح والغوغائيين. لقد أصبح الناس مثل البارود الذي يَنتظر شرارةً ليَنفجِر.

ستاركويذر: هذا الرجل نوكس ليس بأحمق، وإن كان حالمًا. إنه داهيةٌ مُخادع. مقاتل. ينحدر من الغرب؛ من سلالة الرواد الأوائل. قاد والدُه قطيعًا من الثيران عبر السهول إلى أوريجون. إنه يعرف كيف يلعب أوراقه، ولم تكن الظروف أبدًا لتَضع أفضل من هذه الأوراق الرابحة بين يدَيه.

تشالمرز: ولم يحدث أن واجهت شيئًا مثل هذا من قبلُ قط.

ستاركويذر: لطالما سموت فوق الوحل والركام ... طاهرًا ونقيًّا ومنيعًا. لكن هذا الأمر ... لقد فاق الحد! إنه الشرارة. لا يمكن لأحد أن يتنبأ بما قد يتطور إليه الوضع.

تشالمرز: تحوُّل سياسي.

ستاركويذر (يومئ بوحشية وشراسة)**:** قد ينتج حزبٌ جديد، حزب من الغوغائيين يُهيمنون على السلطة. قد تستولي الحكومة على ملكية السِّكك الحديدية والتلغراف. ضريبة دخل متصاعِدة لن تقل في التأثير عن مصادرة رأس المال الخاص.

تشالمرز: وكل هذا الكم الهائل من التشريعات الراديكالية؛ قانون عمالة الأطفال، وقانون مسئولية أرباب العمل الجديد، وسيطرة الحكومة على حقول الفحم في ألاسكا، والتدخل مع المكسيك. وشركة الطاقة الكبيرة التي شقيتَ أنت كثيرًا لتكوينها.

ستاركويذر: يجب ألَّا يقع هذا. إنها كارثة تفوق التصور. إنها تعني تعطيل عملية التطور الرأسمالي وتُوقفها. إنها تعني انتكاسة لعملية استغرقت عشر سنوات. إنها تعني العمل، والعمل بلا نهاية للتغلُّب على تلك النَّكسة. ولا يعني ذلك فقط تمرير كل التشريعات الراديكالية مع كل ما يترتَّب عليها من مساوئ، بل يعني أيضًا أن أيادي الغوغاء ستقبض بإحكام على مقاليد السيطرة. إنها تعني الفوضى. الخراب والبؤس لجميع الحمقى المغفلين وقطعان الجماهير المُنقادة والتي ستتلقى الضربة في مصادر وجودها ورفاهيتها.

(يدخل تومي الصغير من يسار المسرح، ومن الواضح أنه يلعب لعبة؛ حيث يجري ويبدو أن أحدًا يُلاحقه. ينوي عبور المسرح لكنه يتوقَّف حين يرى الرجال الثلاثة. ولأنهم لم يُلاحظوا وجوده، ارتدَّ على أعقابه وزحف إلى أسفل طاولة الشاي.)

تشالمرز: لا شك أن الخطابات في حوزة نوكس الآن.

ستاركويذر: ليس أمامنا الآن سوى شيءٍ واحد نقوم به؛ وهو استرجاع تلك الأوراق.

(يَنظر إلى الرجلَين بتساؤل وتشكُّك.)

(تدخُل مارجريت من اليسار وهي تُلاحق ولدها تومي بسعادة وإشراق؛ فهي تلعَب معه لعبة. تجفُل عندما ترى الرجال الثلاثة، وقد رأتهم أولًا وهي تقترب بجانب طاولة الشاي، حيث تتوقَّف فجأةً وتَستنِد بإحدى يديها على الطاولة.)

هوبارد: سأتولَّى ذلك.

ستاركويذر: لا وقت نُضيعه. في غضون عشرين ساعة من الآن سيكون في المجلس يُلقي خطابه. جرب التدابير الطفيفة أولًا. اعرض عليه الإغراءات؛ أي إغراءات. أنا أُفوِّضك للتحرُّك والتصرف نيابة عني. ستجد أن له ثمنًا.

هوبارد: وإذا لم يكن له ثمن؟

ستاركويذر: حينها يجب استرجاع الأوراق بأيِّ ثمن.

هوبارد (بتردد): هل تعني ...؟

ستاركويذر: هذا ما أعنيه تمامًا. لكن أيًّا كان الذي سيَحدث، يجب ألا يمسَّني الأمر أبدًا. هل فهمت؟

هوبارد: فهمت تمامًا.

مارجريت (تمثِّل عليهم وتتكلَّم بمرحٍ مُصطَنع): ما الذي يتآمر عليه ثلاثتكم؟

(يجفل الرجال الثلاثة في ذهول.)

تشالمرز: نحن نرتِّب لرفع الأسعار قليلًا.

هوبارد: وبذلك سنتمكَّن من جمع وتكديس المزيد من السيارات.

ستاركويذر (غير مُنتبه إلى مارجريت، ويتجه نحو المخرج من جهة الخلف)**:** يجب أن أغادر الآن. هوبارد، قد علمت ما عليك فعله. وأنت يا توم، أريدك أن تأتي معي.

تشالمرز (يسأل أثناء تحرُّك الرجال الثلاثة للخروج)**:** إلى المنزل؟

ستاركويذر: نعم، فلدينا الكثير لنقوم به.

تشالمرز: إذن سأَرتدي ملابسي أولًا ثم ألحق بك.

(يَلتفت إلى مارجريت.) اصحبيني معك في طريقِك لحفل العشاء.

(تومئ مارجريت مُوافِقة. ويخرج ستاركويذر دون أن ينطق بشيء. يُودِّع هوبارد مارجريت ويخرج، ثم يتبعه تشالمرز.)

(تظل مارجريت واقفة مكانها، تستقرُّ إحدى يديها على المائدة والأخرى على صدرها. تفكر، تحاول أن تؤسس في ذهنها العلاقة بين نوكس وبين ما تناهى إلى سمعها من الرجال الثلاثة، وكانت في طور التوصُّل إلى استنتاجٍ مفادُه أن نوكس في خطر.)

(بعد أن انتظر تومي عبثًا أن تَكتشِف أمه مكانه، يزحف خارجًا من أسفل الطاولة بخيبة أمل ويمسك بيد مارجريت. تكاد هي لا تحسُّ بوجوده.)

تومي (بحزن)**:** ألم تعودي تريدين اللعب معي يا أمي؟ (مارجريت لا تردُّ عليه.) كنت هنديًّا صالحًا.

مارجريت (تنتبه فجأةً لنفسها وتنهار باكية. تنحني وتُعانق تومي بذراعَيها، تَنتحِب لوعةً وخوفًا وحبًّا لابنها)**:** أوه، تومي! تومي!

(يُسدل الستار.)

الفصل الثاني

المنظر: غرفة جلوس هوارد نوكس؛ خافتة الإضاءة.

الوقت: الساعة الثامنة مساءً.

المدخل من الردهة يُوجد على الجانب إلى اليمين. في الخلف على اليمين يوجد بابٌ مغلق يُفضي إلى غرفة لا تتبع غرفة نوكس. في المنتصف جهة الخلف توجد مدفأة. على جهة اليسار في الخلف يوجد باب يقود إلى غرفة نوم نوكس. على يسار المسرح توجد نوافذ تطلُّ على الشارع. بقرب هذه النوافذ توجد طاولةُ مكتبةٍ كبيرة تناثرت عليها الكتب والمجلات والتقارير الحكومية وغير ذلك. إلى اليمين من المنتصَف، في مُنتصَف الطريق جهة الأمام يوجد مكتبٌ مسطَّح. وعلى المكتب هاتف. وخلف المكتب — بحيث يواجه الجالس عليه الجمهور — مقعد مكتب دوار. على المكتب أيضًا توجد خطابات في مظاريفها، وغير ذلك. وأمام المساحات الخالية من الحائط توجد أرفف كتب وخزائن حفظ الملفات. وتجدر الإشارة إلى أرفف كتب تحتوي على كتبٍ كبيرة، لا يزيد ارتفاعها عن خمسة أقدام، وتقع مقابل الحائط بين المدفأة والباب المؤدِّي إلى غرفة النوم.

يُفتح الستار على المسرح الخالي من الأشخاص.

(بعد برهة قصيرة، يهتزُّ الباب الموجود في الجزء الخلفي من جهة اليمين ويَضطرب. وبعد برهة أخرى، يُفتح الباب للداخل على خشبة المسرح. يظهر رأس رجل وهو يتلفَّت وينظر حوله بحذر.)

(يدخل رجل ويُضيء النور ويتبعه رجلٌ ثانٍ. كلاهما يرتدي ملابس مقبولة، بزَّات عمل قديمة الطراز وذات ياقات وأساور منشَّاة، وغير ذلك. رجلان أنيقان ماهران وحازمان.)

(يدخل في إثرهما هوبارد. ينظر في أرجاء الغرفة، يسير إلى المكتب ويلتقط خطابًا ويقرأ عنوانه.)

هوبارد: هذه غرفة نوكس بالفعل.

الرجل الأول: ثِق بنا في ذلك يا سيدي.

الرجل الثاني: كنَّا محظوظين أن الرجل ذا السوالف لم يَنتقل من تلك الغرفة الأخرى المُجاورة إلا بعد ظهر اليوم.

الرجل الأول: لم يكن مفتاحه قد نزل إلى الاستقبال حين أخذته.

هوبارد: حسنًا، اشرعا في العمل. لا بد أن هذه هي غرفة نومه.

(يتَّجه نحو باب غرفة النوم ويفتحه وينظر داخلها، يضيء الأنوار في الغرفة، ثم يطفئها ويعود إلى الرجلَين.)

تعرفون ما تبحثون عنه؛ مجموعة من الوثائق والخطابات. إذا وجدناها فسينال كلٌّ منكما خمسمائة دولار كاملة، بالإضافة إلى الراتب المعتاد.

(أثناء المحادثة ينهمك الرجال الثلاثة في البحث الدقيق في المكتب والأدراج وخزائن الملفات والكتب وغيرها.)

الرجل الثاني: لا بد أن ستاركويذر العجوز يريدها بشدة.

هوبارد: صهٍ. لا تهمس حتى باسمه.

الرجل الثاني: إنه سامي المقام للغاية، أليس كذلك؟

الرجل الأول: لم يسبق لي قط أن تلقَّيت منه التعليمات مباشرة، وأنا أعمل معه لفترة أطول منك.

الرجل الثاني: أجل، أنت عملتَ معه لأكثر من عامَين قبل أن تعرف مَن الذي يُوظفك.

هوبارد (متحدِّثًا إلى الرجل الأول): من الأفضل أن تخرج إلى الصالة وتترقَّب وصول نوكس. قد يأتي في أيِّ وقت.

(يُخرج الرجل الأول مفاتيح عمومية ويذهب نحو الباب إلى اليمين. يَفتحه بأول مفتاح يضعه فيه. يخرج من المكان ويترك الباب مواربًا خلفه.)

(يدق جرس الهاتف الموجود على المكتب ويجفل هوبارد من صوته.)

الرجل الثاني (يَبتسم من فزع هوبارد)**:** إنه جرس الهاتف فحسب.
هوبارد (يتابع البحث)**:** أعتقد أنك أديت الكثير من المهام لصالح ستارك …
الرجل الثاني (مقلدًا هوبارد)**:** صهٍ. لا تهمس باسمه.

(يدقُّ الهاتف مرارًا وتكرارًا، وبإلحاح.)

هوبارد (يردُّ على الهاتف مُغيِّرًا صوته)**:** مرحبًا … نعم.

(تبدو عليه المفاجأة، ويبدو أنه تَعرَّف على صاحب الصوت، فيبتسم بفطنة.)

كلا، لستُ نوكس. يبدو أنك أخطأت. الرقم غير صحيح …

(يضع السماعة ثم يتحدث إلى الرجل الثاني بصوته الطبيعي)

لقد أغلقَت الخط بسرعة.
الرجل الثاني: يبدو أنك تعرفها.
هوبارد: لا، إنما ظننتُ أني أعرفها.

(يتوقَّفان عن الحديث بينما يُواصلان البحث.)

الرجل الثاني: لم أتكلم بكلمةٍ واحدة مع سيادته طوال حياتي. رغم أنَّني أتلقى راتبي منه طيلة سنوات أيضًا.
هوبارد: وما المشكلة في ذلك؟
الرجل الثاني (متبرمًا)**:** إنه لا يعرف حتى بوجودي.
هوبارد (يسحب درج مكتب ويتفحَّص محتوياته)**:** لكن الراتب جيد، أليس كذلك؟
الرجل الثاني: نعم بالتأكيد، لكني أعتقد أنني أستحق كل سنت منه.

(يدخل الرجل الأول عبر باب على جهة اليمين. يتحرك بسرعة لكن بحذر. يغلق الباب خلفه، لكنه يَغفل عن إعادة إيصاده بالمفتاح.)

الرجل الأول: ثمة من غادر المصعد للتوِّ وهو قادم عبر الردهة.

(يُهرع هوبارد والرجل الأول والثاني نحو الباب في الخلف من جهة اليمين.)

(يتوقف الرجل الأول وينظر في أرجاء المكان ليرى إن كانت الغرفة مرتبة أم لا. يرى درج المكتب الذي أهمل هوبارد إغلاقه ويعود ويغلقه.)

(يخرج هوبارد والرجل الثاني.)

(يُطفئ الرجل الأول إضاءة الغرفة ويخرج.)

(يُسمع صوت إغلاق الباب.)

(برهة صمت.)

(طرقات على الباب جهة اليمين. صمت. ثم يُفتح الباب ويدخل جيفورد. يضيء الأنوار، يتجول في الغرفة، ينظر إلى ساعته ويجلس على مقعد بالقرب من يمين المدفأة.)

(يُسمع صوت مفتاح في قفل الباب إلى اليمين.)

(يُفتح الباب ويدخل نوكس، مفتاحه في يده. ويرى جيفورد بالداخل.)

نوكس (يتقدم ليصافح جيفورد عند المدفأة)**:** كيف دخلت إلى الغرفة؟
جيفورد: سمحتُ لنفسي بالدخول. كان الباب مفتوحًا.
نوكس: لا بد أنني نسيتُه مفتوحًا.
جيفورد (يسحب حزمة من الوثائق من داخل جيب صدر معطِفِه ويناولها إلى نوكس)**:** إليك الوثائق.
نوكس (يتحسَّسها بإصبعه بفضول)**:** هل أنت متأكد أنها أصلية؟

(يومئ جيفورد.)

لا يمكن أن أجازف بأي خطأ كما تعلم. قد يُغير جيرست رأيه بعد إلقائي الخطاب ويرفض الكشف عن الأصول؛ أمور مثل هذه حدثت من قبلُ.

جيفورد: هذا ما قلته له. وقد كان مُصرًّا على إعطائي نسخًا بديلة من الأوراق، ولبعض الوقت بدا أن رحلتي لنيويورك ضاعت سدًى. لكنَّني تمسكت بموقفي. قلت له إما أن آخذ الأوراق الأصلية أو لن يكون ثمَّة اتِّفاق معك، وقد أذعن في النهاية.

نوكس (يرفع الوثائق)**:** لا يسعني أن أصف لك كم تعني هذه بالنسبة لي، ولا مدى امتناني …

جيفورد (مقاطعًا)**:** لا بأس. لا عليك. جيرست يتوق إلى هذه الفرصة. إنها ستفعل الخير الكثير بالنسبة إلى العمالة المنظمة. وستكون أنت قادرًا على أن تقول كلمتك في الوقت ذاته. كيف تسير الأمور بشأن قانون التعويض؟

نوكس (بتبرم)**:** نفس القصة القديمة. لن يُمثل أبدًا أمام المجلس. إنه يُحتضر ويموت بين اللجان. ماذا تتوقَّع من اللجنة القضائية التي تتألَّف من قضاة السكك الحديدية ومحاميها السابقين؟

جيفورد: إن نقابات السكك الحديدية حريصون على تمرير هذا القانون.

نوكس: واقع الأمر أنهم لم يتمكَّنوا، ولن يتمكَّنوا من ذلك أبدًا حتى يتعلَّموا التصويت بشكلٍ صحيح. متى سيتخلَّى الزعماء العماليون عن الإضراب والمقاطعة ويقودون رجالك إلى العمل السياسي؟

جيفورد (يمد يده)**:** سيَستغرقُون وقتًا طويلًا في واقع الأمر. يجب أن أُسرِع الآن، وليس لديَّ وقت لأشرح لك كيف أن العمل السياسي سوف يدمر الحركة النقابية.

(يلقي نوكس المستندات فوق خزانة الكتب المنخفضة الارتفاع الواقعة بين المدفأة وباب غرفة النوم، ويُصافح جيفورد.)

أنت مُهمل جدًّا في التعامل مع هذه الأوراق. ولم تكن لتلقيها هكذا لو كنت تعلم كم دفع جيرست في مقابلها.

نوكس: إنها بأمان هنا.

جيفورد: أنت لا تُقدِّر تلك الزمرة حقَّ قدرها. إنهم لا يتورَّعون عن شيء.

نوكس: لن أغفل عن هذه الوثائق. سأصحبها إلى السرير الليلة لتكون بأمان معي. بجانب أنه لا يُوجد خطر. فلا أحد سواك يعلم أنها بحوزتي.

جيفورد (يتقدم نحو الباب الموجود على اليمين)**:** أكره أن أكون موضع العاملين في مكتب ستاركويذر عندما يكتشف ما حدث. سيكون وقتًا عصيبًا على من سيكون هناك.

(يتوقف عند الباب.)

أذقهم الجحيم يوم غد، أغدق عليهم ولا تبخل بشيء. سأكون في إحدى شرفات المجلس. إلى اللقاء.

(يغادر المكان.)

(يعبر نوكس الغرفة نحو النوافذ، ويفتحها ثم يعود إلى المكتب ويجلس في الكرسي الدوار، ويَشرع في فتح مراسلاته.)

(صوت طرق على الباب إلى اليمين.)

نوكس: ادخل.

(يدخل هوبارد ويتقدَّم نحو المكتب لكن دون أن يتصافحا. يُحيِّي كلٌّ منهما الآخر ويجلس هوبارد على مقعد إلى يسار المكتب.)

(نوكس الذي لا يزال يُمسك في يده بخطابٍ مفتوح، يعدل وضع الكرسي ليواجه زائره. وينتظر أن يبدأ هوبارد بالحديث.)

هوبارد: لا فائدة من تجنُّب الخوض في الموضوع مباشرة مع رجلٍ مثلك. أعلم هذا. فأنت رجل مباشر، وأنا أيضًا كذلك. وأنت تعرف مركزي بما يكفي لتكون متأكدًا من أنني مفوَّض للتعامل معك.

نوكس: أجل؛ أعرف ذلك.

هوبارد: كل ما نريده هو أن تكون صديقًا لنا.

نوكس: هذا سهل تمامًا. حين تستقيم المصالح وتصبح صادقة …

هوبارد: وفِّر هذا الكلام لخطابك. نحن الآن نتحدث على انفراد. نستطيع أن نجعل الأمر يستحق وقتك …

نوكس (بغضب)**:** إذا كنتَ تظنُّ أنك تستطيع رشوتي …

هوبارد (بلباقة)**:** لم أقصد ذلك على الإطلاق. لا يُراودنَّك أدنى شك. إليك لُبُّ الموضوع. أنت عضو بالكونجرس. وتعتمد مسيرة عضو الكونجرس المهنية على عضويته في اللجان الجيدة. وأنت في الوقت الحاضر مدفونٌ في لجنة سكِّ النقود والأوزان والمقاييس الخاملة. وإذا وافَقتَني فيُمكن تعيينك في أكثر اللجان حياة وأهمية …

نوكس (مقاطعًا له)**:** وهل لديك القُدرة على إعطاء مثل هذه الوعود والمناصب؟

هوبارد: بالتأكيد. وإلا فلماذا أنا هنا الآن؟ يُمكن ترتيب الأمر تمامًا.

نوكس (متأملًا)**:** كنتُ أعتقد أن حكومتنا بها ما يكفي من الفساد، لكن لم يَدُرْ بخلدي مطلقًا أن المصالح تتحكَّم في التعيينات في المجلس بهذه الطريقة.

هوبارد: لم تُعطني إجابتك.

نوكس: كان ينبغي لك أن تعرف إجابتي سلفًا.

هوبارد: هناك بديل لما ترفضه. أنت مُهتم بالمشكلات الاجتماعية. تدرس علم الاجتماع. وهؤلاء الذين أُمثِّلهم يُظهرون اهتمامًا حقيقيًّا بك. نحن مستعدُّون لمساعدتك على متابعة دراستك بصورةٍ أعمق؛ مستعدون لإرسالك إلى أوروبا. هناك في ذلك المختبر الاجتماعي الشاسع وبعيدًا عن الصراع السياسي المحتدم هنا، ستتوافر لك كل الفرص لمتابعة دراستك. نحن مستعدون أن نرسلك إلى هناك لفترة عشر سنوات، وستتلقَّى عشرة آلاف دولار كل عام، بالإضافة إلى أنك ستتسلَّم مبلغ مائة ألف دولار كاملة في اليوم الذي تغادر فيه باخرتك نيويورك.

نوكس: وهذه هي الطريقة التي تشترون بها الرجال.

هوبارد: إنه شأنٌ تعليميٌّ محض.

نوكس: أنت الآن مَن يراوغ.

هوبارد (بحسم)**:** حسنًا إذن. ما الثمن الذي تراه مناسبًا لك؟

نوكس: تُريدني أن أترك السياسة، وأهجر كل شيء؟ تريد أن تشتري روحي؟

هوبارد: أكثر من ذلك. نُريد شراء تلك الوثائق والخطابات.

نوكس (يُظهر بعض الدهشة الخفيفة)**:** أي وثائق وخطابات؟

هوبارد: ها أنت الآن تراوغ بدورك. لا يَنبغي لرجلٍ أمين مثلك أن يكذب حتى …

نوكس (مقاطعًا)**:** حتى على شخصٍ مثلك.

هوبارد (مبتسمًا)**:** حتى على شخصٍ مثلي. لقد كنتُ أُراقبك عن كثب عندما ذكرتُ لك الرسائل. وقد فضحتَ نفسك. لأنك علمتَ أنني أقصد الخطابات التي سرَقها جيرست من بين ملفات ستاركويذر الخاصة؛ الخطابات التي تنوي استخدامها غدًا في خطابك.

نوكس: أنوي استخدامها غدًا.

هوبارد: بالتأكيد. نحن الآن نتحدَّث عن نفس الشيء. ما هو الثمن؟ حدِّد ما تُريد.

نوكس: ليس عندي ما أبيعه. وأنا لستُ مطروحًا للبيع.

هوبارد: انتظر لحظة. لا تتسرَّع في اتخاذ قرارك. أنت لا تَعرف مع من تتعامَل وتُواجه. هذه الخطابات لن تظهر في خطابك غدًا. صدِّقني في هذا. من الأفضل والأكثر

حكمة أن تبيعَها مقابل ثروة بدلًا من أن تخرج خالي الوفاض ولن تستطيع استخدامها كذلك.

(صوت طرقة على الباب يُفاجئ هوبارد.)

نوكس (يَشرع في دعوة الطارق للدخول)**:** تفضل ...
هوبارد (مقاطعًا)**:** صه. لا تفعل. لا يَنبغي لأحد أن يراني هنا.
نوكس (ضاحكًا)**:** تخشى أن تتلوث سمعتك بجلوسك معي.

(يتكرر الطرق على الباب.)

هوبارد (يَنهض في ذعر بينما يحرك نوكس شفتَيه ليطلب من الطارق الدخول)**:** لا تسمح لأي شخص بالدخول إلى هنا. لا أريد أن يراني أحد هنا معك. بجانب أن وجودي معك سيضرُّ بصورتك أنت.

نوكس (ينهض هو الآخر ويتجه نحو الباب)**:** ما أفعله هو أن أنفتح دائمًا على العالم. لا ألتقي بأي أحد أخشى أن يراه العالم معي أو يعلم أنني التقيته.

(يسير نوكس نحو الباب ليفتحه.)

(يتلفت هوبارد حوله مذعورًا، ثم يهرب عبر المسرح إلى غرفة النوم ويغلق بابها. وخلال المشهد التالي يفتح هوبارد باب الغرفة من وقت لآخر ليسترق النظر إلى ما يجري.)

نوكس (يفتح الباب ويتقهقَر على أعقابه)**:** مارجريت! سيدة تشالمرز!

(تدخل مارجريت يتبعها تومي وليندا. تَرتدي مارجريت فستان سهرة يُغطيه معطفٌ مسائي.)

مارجريت (تُصافح نوكس باليد)**:** سامحني، لكن تحتَّم أن أراك. لم أستطع الوصول إليك على الهاتف. قد اتصلت مرارًا وتكرارًا وأفضل ما أمكنني فعله هو الاتصال بالرقم الخطأ.

نوكس (يُفيق من دهشته)**:** نعم. أنا سعيد لرؤيتكم.

(يرى تومي)

مرحبًا تومي.

(يمدُّ نوكس يده فيصافحها تومي بشدة. تظل ليندا في الخلفية. ووجهها مُضطرب.)

تومي: كيف حالك؟

مارجريت: لم تكن هناك وسيلةٌ أخرى، وكان من الضروري جدًّا أن أُحذرك. وقد أحضرت تومي وليندا معي لمرافقتي.

(تنظر مارجريت بفضول في أرجاء الغرفة، وتشير تحديدًا إلى خزائن الملفات وأكوام تقارير الحكومة الموجودة على الطاولة.) هذا هو معملك.

نوكس: آه، لو كنت فقط ساحرًا كبيرًا في علم الاجتماع بقدر ما كان إديسون ساحرًا في علوم الفيزياء.

مارجريت: لكنَّك كذلك بالفعل. أنت تعمل بكدٍّ أكبر مما تَعترف أو تجرؤ على الاعتقاد. أنا أعرفك أفضل مما تعرف نفسك.

تومي: هل تقرأ كل هذه الكتب؟

نوكس: نعم، وما زلت أذهب إلى الكلية وأدرس بجد. ما الذي تنوي دراسته أنت لتكون الشخص الذي تتمنَّى حين تكبر؟

(يستغرق تومي في التفكير لكنه لا يرد على سؤال نوكس.)

هل ستكون رئيس هذه الولايات المتحدة العظيمة؟

تومي (يهزُّ رأسه نفيًا)**:** أبي يقول إن رئيس الولايات المتحدة ليس له قيمةٌ كبيرة.

نوكس: ولا حتى لينكولن؟

(يتحيَّر تومي.)

مارجريت: لكن ألا تذكر يا تومي كم كان لينكولن رجلًا عظيمًا؟ تذكَّر أني أخبرتك؟

تومي (يهزُّ رأسه ببطء)**:** لكني لا أريد أن أُقتَل مثله. أودُّ أن أخبرك بشيء!

نوكس: ماذا؟

تومي: أريد أن أصبح سيناتور مثل أبي. إنه يجعلهم يتراقَصون.

(تنصدم مارجريت، وتتلألأ عينا نوكس.)

نوكس: من هم الذين يجعلهم يتراقصون؟
تومي (محتارًا)**:** لا أعرف.

(وبمَزيد من الثقة.)

لكنه يجعلهم يتراقصون على أية حال.

(تُشير مارجريت إلى ليندا لتأخُذ تومي بعيدًا عبر الغرفة.)

ليندا (تبدأ في عبور المسرح نحو اليسار)**:** هيا يا تومي. لنَنظر من النافذة.
تومي: أفضِّل أن أتحدَّث مع السيد نوكس.
مارجريت: اذهب معها لو سمحت يا تومي. تُريد ماما أن تتكلَّم مع السيد نوكس.

(يَستسلم تومي ويعبر المسرح نحو اليمين حيث ينضمُّ إلى ليندا ويتطلعان خارج النافذة.)

مارجريت: ربما يستحسن أن تَطلب مني الجلوس.
نوكس: أوه! سامحيني أرجوكِ.

(يسحب لها مقعدًا مريحًا ويجلس هو على كرسي المكتب في مواجهتها.)

مارجريت: أمامي دقائقُ معدودة فقط. توم عند أبي وأنا سوف أصحبه في طريقي من هناك لنذهب معًا إلى حفل العشاء، بعد أن أوصل تومي إلى المنزل.
نوكس: لكن خادمتك؟
مارجريت: تقصد ليندا؟ لو انطبقت السماء على الأرض، لا يستطيع أحد أن يستخلص منها أي شيء، خاصة إذا كانت تعتقد أن ذلك يَضرُّني. إن إخلاصها لي شديد لدرجة تكاد تخجلني منها. أنا لا أستحقها. لكن ليس هذا ما جئت لأحدِّثك بشأنه.

(تقول ما يلي في عجالة.)

حدث شيء بعد أن غادرت أنت منزلي ظهر اليوم. تلقَّى والدي برقية، بدا أنها على قدرٍ كبير من الأهمية. وفي أعقابها جاء سكرتيره الخاص. واستدعى والدي توماس والسيد هوبارد وعقد ثلاثتهم اجتماعًا. أعتقد أنهم اكتشفوا فقدان الوثائق، وأنهم يظنُّون بأن لديك

تلك الوثائق. لم أسمعهم يذكرون اسمك، مع ذلك أنا متأكِّدة تمامًا أنهم تحدثوا عنك. أيضًا عرفت من وجه أبي أن ثمَّة خطبًا جللًا. خذ حذرك! أرجوك خذ حذرك!

نوكس: ليس هناك أي خطر أُؤكِّد لكِ.

مارجريت: لكنك لا تعرفهم. أؤكد لك أنك لا تعرفهم. هم لا يتورَّعون عن شيء؛ لا شيء. والدي يعتقد أنه على صواب تمامًا في كل ما يفعله.

نوكس: أنا أعرف ذلك. وهذا ما يجعله ذا بأسٍ شديد. هو لديه وازعٌ أخلاقي.

مارجريت (تومئ موافقة)**:** إنها عقيدة يلتزم بها.

نوكس: وهي تقوده نحو الهوس كأي عقيدة يَحملها رجلٌ ضيق الأفق.

مارجريت: إنه يعتقد أن الحضارة تعتمد عليه، وأن واجبه المقدس هو الحفاظ على الحضارة.

نوكس: أجل. أعرف.

مارجريت: لكن أنت؟ أنت في خطر.

نوكس: لا؛ سأمكث هنا الليلة. وغدًا في وضح النهار سأمضي نحو المجلس لأُلقي خطابي.

مارجريت (باندفاع)**:** أوه، لو أصابك مكروه!

نوكس (يتطلَّع إليها بتمعُّن)**:** هل تهتمين لأمري؟

(تُومئ مارجريت برأسها وتخفض عينَيها فجأة.)

تهتمين بهوارد نوكس المصلح الاجتماعي؟ أم بي أنا كرجل؟

مارجريت (بتلقائية)**:** أوه، لماذا ينبغي على المرأة أن تظلَّ دائمًا صامتة؟ لماذا لا أخبرك بالذي تعرفه بالفعل؟ بل لماذا لا أخبرك بما يُفترض أنك تعرفه بالفعل؟ أنا بالتأكيد أهتمُّ بك كرجل وكمصلحٍ اجتماعي ... كلاكما؛ لأجل ...

(كانت مشاعرها تَلتهب، لكنَّها تكفُّ فجأة وتتطلَّع نحو ابنها تومي الذي يقف بجوار النافذة، تُنبِّهها غريزتها أنها لا يجوز أن تنساق خلف الحب في وجود طفلها.)

ليندا! هلا أخذتِ تومي إلى السيارة في الأسفل ...

نوكس (منزعجًا ومقاطعًا لها بصوتٍ منخفض)**:** ماذا تفعلين؟

مارجريت (تُسكت نوكس بإيماءة)**:** سألحق بكِ على الفور يا ليندا.

(تتحرَّك ليندا وتومي عبر المسرح باتجاه المخرج جهة اليمين.)

تومي (يقف أمام نوكس ويمدُّ يده بجديةٍ شديدة)**:** طاب مساؤك سيد نوكس.

نوكس (على نحوٍ أخرق)**:** طاب مساؤك يا تومي. خذ بنصيحتي وابحث في موضوع لينكولن هذا.

تومي: سأفعل. سأسأل والدي بشأنه.

مارجريت (على نحوٍ يحمل دلالة)**:** تولَّي هذا الأمر يا ليندا. لا يَنبغي أن يعلم أحد شيئًا حول هذا.

(تومئ ليندا إيجابًا.)

(تخرج ليندا وتومي من اليمين.)

(تزيح مارجريت، وهي جالسة، معطفها للخلف كاشفة عن ثوب السهرة الذي ترتديه، وتنظر نحو نوكس برغبة وجلال وحب.)

نوكس (متأجِّجًا من مشهدها)**:** لا تفعلي! لا! لا أطيق ذلك. رؤيتك هكذا تملؤني بالجنون.

(تضحك مارجريت بصوتٍ مُنخفض مبتهجة بالنصر.)

لا أريد أن أُفكِّر فيكِ كامرأة. لا يَنبغي لي أن أفعل ذلك. اسمحي لي.

(ينهض ويحاول أن يُعيد المعطف على كتفَيها لكنها تقاومه. ومع ذلك ينجح في تغطيتها قليلًا.)

مارجريت: أريدكَ أن تراني كامرأة. أن تُفكِّر فيَّ كامرأة. أن تُجَنَّ بي.

(تمدُّ ذراعَيها فينزلق المعطف عنهما.)

أنا أرغبُ ... ألا ترين ما أرغبُ فيه؟ ...

(يغوص نوكس في مقعده مُحاولًا أن يُغطي عينَيه بيدَيه.)

(تزيح مارجريت المعطف تمامًا عنها للمرة الثانية.)

انظر إليَّ.

نوكس (ينظر إليها، وينهض على قدمَيه ويقترب منها بذراعَين ممدودتَين ويهمس بنعومة)**:** مارجريت. مارجريت.

(تَنهض مارجريت لمقابلته ويلقي كلٌّ منهما بنفسه في أحضان الآخر.)

(يسترق هوبارد النظر عبر الباب، ينظر إليهما وعلى وجهه علامات الاستمتاع الساخر. وتتجوَّل نظراته في المكان ويرى المستندات في متناول يده فوق خزانة الكتب. يلتقط المستندات ويَرفعها نحو الضوء على المسرح ويتطلَّع فيها، وبتعابير الانتصار على وجهه يختفي من المسرح ويُغلق الباب خلفه.)

نوكس (يُبعد مارجريت عنه وينظر إليها)**:** أحبك. أنا فعلًا أحبك. لكني قررت ألَّا أبوح بذلك أبدًا، وألَّا أخبركِ.

مارجريت: أيها الساذج. أنا أعرف منذ فترةٍ طويلة أنك تحبني. لقد أخبرتني كثيرًا وبطرقٍ شتى. أنت لا تستطيع النظر إليَّ دون أن تخبرني نظراتك أنك تحبني.

نوكس: هل رأيتِ ذلك في عيني؟

مارجريت: وكيف لا أراه؟ أنا امرأة. أنت فقط لم تتفوَّه بكلمةٍ واحدة. اجلس هناك، حيث يُمكنني النظر إليك، ودعني أقول أنا لك. سأقول أنا كل الكلام الآن.

(تحثه ليعود ويجلس على مقعد المكتب، وتعود لتجلس هي على كرسيها.)

(تتصنع محاولة تغطية كتفَيها بالمعطف)

هل أغطيهما؟

نوكس (بحماسة ملتهبة)**:** لا، لا! ابقي كما أنتِ. دعيني أُمتع عينيَّ بكِ وأنتِ ملكي. لا بد أنني في حلم.

مارجريت (بضحكة انتصار وتباهٍ خافتة)**:** أنتم معشر الرجال! منذ قديم الزمان وإلى الأبد، لا بد وأن نتودَّد إليكم من خلال حواسكم. لو كنتُ أظهرت لك حكمة هيباتيا أو علم السيدة كوري، لاستطعتَ أن تحتفظ بسيطرتك الحديدية على نفسك، ولخنقت صوت قلبك بيد الصمت. لكن بمجرَّد أن أصبحتُ ليليث للحظة، وتخلَّيت عن هذا المعطف المصنوع ليَحمي من برد الليل، على الفور اشتعلت بك النيران والتهبت حواسُّك وانطلق لسانك برغبة الحب.

نوكس (معترضًا)**:** مارجريت! ليس هذا عدلًا!

مارجريت: أنا أحبك ... و... أنت؟

نوكس (بحرارة وإعجاب)**:** أنا أحبك!

مارجريت: اسمع إذن. قد أخبرتك عن طفولتي وأحلامي. وكنت أريد أن أقوم بما تفعله أنت الآن بكل نُبل. لكني لم أفعل شيئًا. لم يكن باستطاعتي فعل شيء. لم يسمحوا لي. دائمًا ما كنتُ مجبرة على كبح نفسي. لقد تزوَّجت من أجل أن أتمكن من فعل ما تفعله أنت. ولكن هذا الزواج أيضًا خذلني. أصبح زوجي من أتباع المصالح، وأداةً في يد أبي لارتكاب الشرور التي رغبتُ في محاربتها.

(تتوقف برهة.)

دام الصراع طويلًا، وقد أنهكني التعب، لأنني كنت أواجه الفشل دائمًا. لا أحب زوجي. لم أحبَّه قط. وهبت نفسي للقضية ولكن القضية لم تنفع بشيء. (تسكت لحظة.) كثيرًا ما فقدت إيماني ... بكل شيء؛ في الله والبشر، وفي الأمل بأن يسود الصواب يومًا. لكنك كنت مرارًا وتكرارًا تُوقظني بما تفعله. لم آتِ الليلة أنانية مني. بل أتيت أحذرك ولأساعد الخير على الانتصار. لكني بقيت — والحمد لله — كي أحبك وتحبني. ووجدت نفسي فجأة أنظر إليك وأراك وقد أصابك الإجهاد والتعب كثيرًا. أردتُك أنت ... أنت وحدك أكثر من أي شيءٍ آخر في العالم.

(تمدُّ ذراعَيها إليه.)

تعال إليَّ. أريدك ... الآن.

(في نشوة يأتي إليها نوكس، يجلس على ذراع المقعد العريض ويغوص بين ذراعَيها.)

نوكس: لكني أحيانًا ما كنتُ أصاب بالتعب. وهذه الليلة كنتُ منهكًا للغاية ... ثم جئتِ. وأنا الآن سعيد، سعيد وحسب.

مارجريت: كنتُ مستهترة الليلة. أعترف بذلك. وأفخر به. لكني لم أكُ بغيًّا. بل هي المرة الأولى في حياتي. ويكاد الندم يُراودني أنني لم أعجِّل بذلك؛ فقد تكلل الأمر بالنجاح. لقد عانقتني وأخذتني بين ذراعَيك ... بين ذراعَيك أنت. أوه، إنك لن تعرف أبدًا ما يَعنيه

عناقنا الأول هذا بالنسبة إليَّ. أنا لست بحقيرة. لست جامدة ولا متحجرة المشاعر. أنا امرأة ... امرأةٌ رقيقةٌ حيية ...

(تنهض من مكانها وتسحبه ليقف على قدمَيه.)

قبِّلني يا حبيبي ومولاي العزيز. قبلني.

(يتعانقان.)

نوكس (تملأه العاطفة، يتلفَّت حوله بعنف وكأنه يبحث عن شيءٍ ما)**:** ما الذي سنفعله الآن؟

(يحررها فجأة ويسقط غارقًا في مقعده، وكأنه ينهار.)

لا. لا يمكن. هذا مستحيل. أوه، لماذا لم نَلتقِ منذ زمنٍ بعيد؟ كان يمكننا حينها أن نشد من أزر بعضنا. أجمل بها من رفقة!

مارجريت: لكن لم يفُتِ الأوان بعدُ.

نوكس: ليس لي أي حق فيكِ.

مارجريت (مخطِّئة فهمه)**:** هل تقصد زوجي؟ لم يعد كذلك منذ سنوات مضت. ليس له أي حقوق عليَّ. من يمكن أن يكون له حق عليَّ ... سواك أنت يا مَن يهواه قلبي؟

نوكس: لا؛ لا أقصد ذلك.

(يطقطق أصابعه.)

علاقتكما هذه تخصه هو.

(ينهار.)

أوه، لو أنني فقط كنت نوكس الإنسان وليس المصلح الاجتماعي! لو لم يكن عليَّ واجبٌ أقوم به!

مارجريت (تعود إلى خلف مقعده وتداعب شعره)**:** يمكننا أن نعمل معًا.

نوكس (يهز رأسه تحت أصابعها)**:** توقفي! توقفي!

(تصر على تمرير أصابعها في شعره ثم تضع خدَّها على خدِّه.)

أنت تُصعبين عليَّ الأمر. أنتِ تغرينني كثيرًا.

(ينهض فجأة ويأخذ يدَيها الاثنتين بين يدَيه ويقودها برفق إلى مقعدها ويُجلسها عليه، ثم يعود ويجلس إلى كرسي المكتب.)

اسمعي. ليست المسألة في زوجك. ليس لي حقٌّ فيك. ولا لكِ حق بي.

مارجريت (تقاطعه بغيرةٍ شديدة)**:** ومن غيري له أي حق فيك؟

نوكس (يبتسم بحزن)**:** لا؛ لم أقصد ذلك. ليس ثمة امرأةٌ أخرى. أنت المرأة الوحيدة التي تعنيني. لكن هناك آخرون كُثر لهم عليَّ حقوق أكبر مما لكِ عليَّ. لقد اختارني مائتا ألف مواطن كي أُمثِّلهم في كونجرس الولايات المتحدة. وثمة غيرهم كثيرون …

(يتوقف فجأة عن الكلام وينظر إليها، وإلى ذراعَيها وكتفَيها العاريتين.)

نعم، أرجوكِ أن تغطيهما. ساعديني على ألا أنسى واجبي.

(تأبى مارجريت أن تطيعه.)

هناك الكثيرون ممن لهم حقوق عليَّ؛ الشعب، كل الناس الذين جعلتُ قضيتهم قضيتي. الأطفال؛ ثمة مليونا طفل عامل في الولايات المتحدة. لا يمكن أن أخونهم. لا يمكن أن أسرق سعادتي منهم. لقد تحدَّثت ظهر اليوم عن السرقة … ألا تكون هذه أيضًا سرقة؟

مارجريت (بحدة)**:** هوارد! أفِق! هل لعبت سعادتنا بعقلك؟

نوكس (بحزن)**:** كادت … وتقريبًا للحظاتٍ قليلةٍ جامحة فقدتُ عقلي تمامًا. ثمة كل هؤلاء الأطفال. هل أخبرتك من قبلُ عن ذلك الطفل من الأحياء الفقيرة، الذي عندما سألوه كيف يعرف قدوم الربيع أجابهم: عندما يرى الحانات قد وضعت أبوابها المتأرجحة.

مارجريت (منزعجة)**:** لكن ما علاقة كل ذلك بحب رجلٍ واحد وامرأةٍ واحدة أحدهما للآخر؟

نوكس: افترضي أننا تحاببنا — أنا وأنتِ؛ هبي أننا أطلقنا العنان لحبنا. ما الذي سيحدث؟ هل تذكُرين جوركي؛ ذلك المناضل الروسي المحب لوطنه عندما جاء إلى نيويورك يشتعل شغفًا بالثورة الروسية. كان هدفه من القدوم إلى أرض الحرية أن يجمع التبرعات من أجل تلك الثورة. لكن لأن زواجه من المرأة التي أحبها لم يوافق هوى أصحاب المتاجر، ولأن الصحف أثارت ضجةً كبيرة حول زواجه، فشلت مهمته بأكملها. أصبح أضحوكة

الشعب الأمريكي وخسر كل تقديره. وهذا ما سوف يحدث لي. سوف يُشهَّر بي وتُشوَّه سُمعتي وأُصبح أضحوكة. ستضيع كل قوتي.

مارجريت: وحتى لو حدث ذلك، فما المشكلة؟ ليُشهِّروا بك وليضحكوا منك. نحن سنكون لبعضنا. سينهض رجالٌ آخرون ليقودوا الناس، وقيادة الناس مهمَّة لا يَشكرها أحد في نهاية المطاف. إن الحياة قصيرة الأمد. يجب أن نتشبَّث بكل ذرة سعادة يمكن أن ننالها.

نوكس: آهٍ لو تعلمين، حين أنظر في عينيك الآن، كم يسهل التخلي عن كل شيء وإلقاؤه في مهب الريح. لكنها ستكون سرقة.

مارجريت (بتمرد)**:** فلتكن سرقة. الحياة قصيرة جدًّا يا عزيزي. نحن أكبر حقيقة في العالم؛ بالنسبة إلى بعضنا البعض.

نوكس: الأمر لا يخصُّني وحدي، ولا يخصُّ كل رفاقي. قبل لحظة قلتِ إنه لا أحد له أي حق عليكِ. لكنَّك مخطئة. فطفلك …

مارجريت (تتوسَّل إليه بألمٍ مفاجئ)**:** لا تفعل!

نوكس: بل ينبغي أن أفعل. يجب أن أُنقذ نفسي … وأنقذك. إن لتومي حقوقًا عليك. ستكون هذه سرقة مرةً أخرى. ماذا يمكن أن نُسمِّي الأمر غير ذلك، إذا سرقتِ سعادتكِ منه؟

مارجريت (تحني رأسها على يدها وتَنتحب)**:** كنتُ وحيدة جدًّا … ثم جئتَ أنت … أتيتَ وأصبح العالم مشرقًا ودافئًا … قبل لحظاتٍ قصيرة مضَت كنتَ تضمُّني … بين ذراعَيك … قبل دقائقَ قصيرة مضت بدا وكأن حلمي عن السعادة قد أصبح حقيقة … والآن تُحطمه وتسلُبه منِّي …

نوكس (يجاهد للسيطرة على نفسه الآن بعد أن أشاحَت بنظرها بعيدًا عنه)**:** لا؛ أتوسَّل إليكِ أن تُحطِّميه بنفسك. أنا لست قويًّا لأفعل ذلك وحدي. يجب أن تُساعديني. يجب أن تتذكَّري طفلك ليعينك على مساعدتي. قد يُجنُّ جنوني بكِ الآن …

(يَنهض مندفعًا نحوها فاردًا ذراعَيه ليعانقها.)

من فوري هذا.

مارجريت (ترفع رأسها فجأةً وتمدُّ أحد ذراعَيها لتمنعه من احتضانها)**:** انتظر.

(تحني رأسها على يدها للحظة لتُفكِّر ولتستعيد سيطرتها على نفسها.)

(ترفع رأسها وتنظر إليه.)

اجلس لو سمحت.

(يجلس نوكس)

(تمر لحظة صمت تَنظر إليه فيها وتَغمُره بحبها.)

عزيزي، أنا أُحبُّك حبًّا جمًّا ...

(يَفقد نوكس سيطرته على نفسه ويبدأ في النهوض.)

لا، اجلس مكانك. كنتُ ضعيفة. ومع ذلك لستُ نادمة. أنت على حق. يجب أن نفترق. لا يمكن أن نكون لصوصًا، حتى ولو في سبيل الحب. مع ذلك أنا سعيدة أن ذلك قد حدث؛ أنني استلقيت بين ذراعَيك وتلاقَت شفاهنا. وهذه ذكرى ستظلُّ حلاوتها للأبد.

(تسحب معطفها حولها وتنهض.)

(ينهض نوكس أيضًا.)

أنت محق تمامًا، المستقبل ملك للأطفال. عندهم يكمن الواجب ... واجبك، وواجبي أيضًا بطريقتي الصغيرة. سأذهَب الآن. يجب ألا نرى بعضنا ثانية أبدًا. يجب أن ننغمس في العمل ... وننسى ما كان. لكن تذكر أن قلبي سيكون معك في قتالك. وأن صلواتي سترافقك مع كل ضربة تُوجهها.

(تتردد وتتوقف لحظة، ثم تُحكم معطفها حولها كدليل على الرحيل.)

حبيبي ... هلا قبَّلتني ... لمرةٍ واحدة ... لمرةٍ أخيرة؟

(لا تحمل هذه القبلة أي شغف، وإنما هي قبلة هجر وفراق. مارجريت بنفسها هي مَن أنهت العناق.)

(يُرافقها نوكس صامتًا إلى الباب ويضَع يده على المقبض.)

نوكس: أتمنَّى لو أحصل على شيء منكِ يكون معي دائمًا ... صورة مثلًا، ولتكن تلك الصورة الصغيرة، هل تذكُرينها، التي راقت لي كثيرًا.

(تومئ برأسها.)

لا تُخاطري بإرسالها مع مرسال. فقط أرسليها بالبريد بالطريقة المعتادة.

مارجريت: سأُرسلها لك بالبريد غدًا. سأضعُها في صندوق البريد بنفسي.
نوكس (يُقبِّل يدها)**:** وداعًا.
مارجريت (متلكِّئة)**:** عزيزي، أنا سعيدة وفخورة بما حدث ولن أمحو منه سطرًا واحدًا.

(تُشير إلى نوكس ليفتح الباب، فيفعل، لكنه يغلقه ثانية على الفور بينما هي تُكمل كلامها.)

ستكون هناك حياةٌ أخرى خالدة. سيكون هناك حتمًا حياةٌ مستقبلية نلتقي فيها أنا وأنت ثانية. وداعًا.

(يضغط كلٌّ منهما يد الآخر.)

(تخرج مارجريت.)

(يظل نوكس واقفًا للحظة يحدِّق في الباب المغلق، يلتفت ويتطلع حوله في حيرة، يرى المقعد الذي كانت مارجريت تجلس عليه، فيذهب إليه ويركع أمامه ويدفن وجهه في المقعد.)

(باب غرفة النوم يُفتح ببطء ويسترق هوبارد النظر خارجها بحذر. لكنه لا يستطيع رؤية نوكس.)

هوبارد (يتقدم مندهشًا)**:** ما هذا بحق الشيطان؟ هل ذهب الجميع؟
نوكس (ينهض مذهولًا)**:** بحق الشيطان من أين خرجت؟
هوبارد (يشير إلى غرفة النوم)**:** من هناك. كنتُ فيها طوال الوقت.
نوكس (يُحاول جاهدًا أن يتخطى الأمر)**:** لقد نسيت أمرك تمامًا. حسنًا لقد غادر ضيوفي.
هوبارد (يسير حتى يقترب منه ويضحك عليه باستمتاعٍ كبير)**:** الرجال الصادقون يُصبحون حمقى حين يقعون في الخطأ.
نوكس: باب الغرفة كان مغلقًا طوال الوقت. وما كنتَ لتجرُؤ على التجسس عليَّ.
هوبارد: صوت السيدة كان مألوفًا لي.
نوكس: هل سمعت ما قلناه! ... ماذا سمعت؟

هوبارد: أوه، لا شيء، لا شيء ... مجرد همهمة أصوات ... والمرأة ... أكاد أُقسم إني سمعت صوتها من قبلُ.

نوكس (وقد ظهر الارتياح عليه)**:** حسنًا، إلى اللقاء.

هوبارد (يبدأ في التحرك تجاه المخرج جهة اليمين)**:** ألن تعيد النظر في قرارك؟

نوكس (يهز رأسه نافيًا.)

هوبارد (يتوقَّف، يفتح الباب بيدٍ ويضحك ساخرًا)**:** ومع ذلك لم يمرَّ سوى وقتٍ قصير منذ سمعتك تقول إنه لا يوجد في العالم مَن تخشى أن تقول إنك تَلتقيه.

نوكس (مذهولًا)**:** ماذا تعني؟

هوبارد: وداعًا.

(يَخرج هوبارد ويغلق الباب.)

(يجول نوكس في الغرفة على غير هدًى نحو مكتبه، يتطلع نحو الخطابات التي كان يقرأ فيها عندما قاطعه دخول هوبارد في المقام الأول، وفجأةً يتذكَّر حزمة المستندات ويسير نحو خزانة الكتب المُنخفِضة وينظر فوقها.)

نوكس (مصعوقًا)**:** اللص!

(يتلفَّت حوله بغضبٍ حانق ثم يندفع كالمجنون في أعقاب هوبارد، يخرج من اليمين ويترك الباب مفتوحًا على مِصراعَيه.)

(يُصبح المسرح خاليًا للحظة.)

(يسدل الستار.)

الفصل الثالث

المنظر: المكتبة، يستخدمها ستاركويذر فيما يُشبه مكتبه في الأوقات التي يكون بها في واشنطن. يوجد باب إلى اليمين؛ وأيضًا باب إلى يمين الخلفية. على اليسار يوجد كوةٌ مُظلمة وبدون ستائر. توجد النوافذ إلى اليسار. وعلى اليسار أيضًا، بقرب النوافذ، يوجد مكتب مسطح وكرسي وهاتف. وعلى المكتب أيضًا يظهر صندوقٌ ثقيل للرسائل. في وسط مؤخر الغرفة يوجد ستارٌ كبير. وعبر وسط الجزء الخلفي للغرفة تمتد خزائن كتبٍ ثقيلة على طرازٍ قديم ولها أبوابٌ زجاجيةٌ مُتأرجِحة. ترتفع الخزائن حوالي أربعة أقدام من الأرض؛ مما يجعلها تُشكِّل رفًّا. وبين الطرف الأيسر لخزائن الكتب والكوَّة في مؤخَّر الغرفة على اليسار، توجد لوحةٌ معلَّقة على الجدار أو نقش على الفولاذ لأبراهام لينكولن. الغرفة في تصميمها وفرشها بسيطة وليست كثيرة الزخرفة، جامدة بصورةٍ باردة وقديمة الطراز بعض الشيء.

الساعة الآن التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي للفصل السابق.

(يُفتح الستار ويظهر ستاركويذر جالسًا إلى المكتب ودوبلمان يقف إلى يمين المكتب.)

ستاركويذر: لا بأس، رغم أنها صحيفة غير مهمَّة. سأشترك.

دوبلمان (يضع ملاحظة على لوح يمسك به)**:** حسنًا يا سيدي. هذه ألفان.

(وهو يتفحَّص دفتره.)

بعد ذلك مجلة «فاندرووتر»، قد حان استحقاق اشتراكك.

ستاركويذر: كم ندفع لهم؟

دوبلمان: تدفع لهم خمسة عشر ألفًا.

ستاركويذر: هذا كثير جدًّا. كم يبلغ قدر الاشتراك الاعتيادي؟

دوبلمان: دولارًا واحدًا فقط في السنة.

ستاركويذر (يهز رأسه بتأكيد)**:** ما ندفعه كثير جدًّا.

دوبلمان: لكن البروفيسور فاندرووتر أيضًا يحسن العمل في محاضراته. وهو يحاضر بانتظام في دورات تشاتاكوا، وكانت خطبته في المؤتمر الكبير للاتحاد المدني الوطني معبرة بشكلٍ استثنائي.

ستاركويذر (متحيرًا وعلى وشك الاستسلام)**:** لا بأس ...

(ثم يتوقَّف عن الكلام وكأنه تذكر شيئًا ما.)

(بدأ دوبلمان يُدوِّن الملحوظة.)

لا. لقد تذكرتُ أن ثمة شيئًا في الصحف عن البروفيسور فاندرووتر هذا ... شيء عن طلاق، أليس كذلك؟ لقد أضعف نفوذه وفائدته بالنِّسبة لي.

دوبلمان: كان خطأ زوجته.

ستاركويذر: ليس مهمًّا خطأ من. لقد انخفضت قيمتُه. خفض ما ندفعه له إلى عشرة آلاف. هذا سيُلقِّنه درسًا.

دوبلمان: حسنًا يا سيدي.

ستاركويذر: والعشرون ألفًا المعتادة لمجلة كارترايت.

دوبلمان (بتردد)**:** لقد طلبوا المزيد. لقد وسعوا المجلة وأعادوا تنظيم الأصول وطاقم العمل وكل شيء.

ستاركويذر: هوبارد يكتب فيها، صحيح؟

دوبلمان: نعم يا سيدي. وبرغم أنني غير متأكِّد لكن ثمة همسات بأنه أحد المساهمين الكبار في المجلة.

ستاركويذر: إنه رجل واسع الحيلة. وقد كان ذا نفعٍ كبير. كم يريدون؟

دوبلمان: يقولون إنَّ سلسلة مقالات نيتمان تُكلفهم وحدها اثني عشر ألفًا، وإنهم يعتقدون — في ضوء الخدمة الاستثنائية التي هم مُستعدون لتقديمها والتي يقدمونها بالفعل — أن خمسين ألفًا ...

ستاركويذر (باقتضاب)**:** حسنًا. كم منحت لجامعة هانوفر هذا العام؟

دوبلمان: سبعة إلى تسعة ملايين، من ضمنها تلك المكتبة الجديدة.

ستاركويذر (متنهدًا)**:** التعليم فعلًا مُكلِّف. هل هناك أي شيءٍ آخر هذا الصباح؟

دوبلمان (يُراجع دفتره)**:** بندٌ واحد فقط؛ السيد روتلاند. كنيسته كما تعلم يا سيدي، وتلك الكلية اللاهوتية التابعة لها. أخبرني أنه تحدَّث معك بخصوصها. إنه يَتطلَّع إلى معرفة الرد.

ستاركويذر: إنه فطن جدًّا ... أقرُّ بذلك. خمسون ألفًا للكنيسة ومائة ألف للكلية ... أريد أن أسألك بصراحة، هل يستحق ذلك المال؟

دوبلمان: الكنيسة من أقوى عوامل تشكيل الرأي العام، والسيد روتلاند مُثير جدًّا للإعجاب.

(يتصفَّح دوبلمان دفتره ويخرج قصاصة ورق.)

وهذا ما قاله في عظته قبل أسبوعين: «لقد وهَب الله السيد ستاركويذر موهبة جني المال مثلما وهب آخرين العبقرية التي تتجلَّى في الأدب والفنون والعلوم.»

ستاركويذر (مسرورًا)**:** إنه مفوَّه.

دوبلمان (يستخرج قصاصةً أخرى)**:** وهذا ما قاله عنك في عِظَة الأحد الماضي: «نحن اليوم نسعد ونبتهج بضياء تكريس ثروةٍ عظيمة من أجل تقدم الجنس البشري. هذه الثروة العظيمة كرسها رجل يسير طوال حياته تبعًا لمقولة: حب المسيح يُسيرني ويقودني.»

ستاركويذر (بتأملٍ عميق)**:** لطالما ابتغيت الخير يا دوبلمان. أنا أبتغي الخير. وسأظل أبتغيه دائمًا. أنا أعتقد أنني أحد أولئك الرجال القلائل الذين منَحهم الله — بعظيم حكمته اللامحدودة — هبة إدارة ثروة الشعب. إنها لثقةٌ رفيعة، وبرغم الإساءة وتشويه السمعة اللذين يَنهالان عليَّ، فإنني سأظل وفيًّا لهذه الثقة.

(يُغيِّر نبرة صوته فجأة إلى نبرة الأعمال النشيطة.) رائع! احرص على أن يحصل السيد روتلاند على كل ما يُريده ويطلبه.

دوبلمان: حسنًا يا سيدي! سأُحادثه على الهاتف. أعلم أنه مُتلهِّف ليسمع منا.

(يَشرع في مُغادرة الغرفة)

هل أقوم بإصدار الشيكات بالطريقة المعتادة؟

ستاركويذر: نعم، باستثناء الخاص بروتلاند فسأوقعه بنفسي. دع الشيكات الأخرى تمرُّ عبر القنوات المعتادة. سنستقلُّ قطار الثانية وعشر دقائق إلى نيويورك. هل أنت جاهز؟

دوبلمان (يُشير إلى صندوق الرسائل)**:** جاهز بكل شيء باستثناء صندوق الرسائل.

ستاركويذر: سأهتم به بنفسي.

(يبدأ دوبلمان في الخروج من جهة اليسار، ويُخرج ستاركويذر دفترًا من جيبه وينظر فيه ثمَّ يرفع رأسه.)

ستاركويذر: دوبلمان.

دوبلمان (يتوقف)**:** أمرك سيدي.

ستاركويذر: السيدة تشالمرز هنا، أليس كذلك؟

دوبلمان: أجل سيدي. وصلت قبل بضع دقائق، ومعها ابنها الصغير. وهما مع السيدة ستاركويذر الآن.

ستاركويذر: من فضلك أخبر السيدة تشالمرز أنني أرغب في رؤيتها.

دوبلمان: أمرك سيدي.

(يخرج دوبلمان.)

(تدخل خادمة مِن يمين مؤخَّر المسرح تحمل صينية عليها بطاقة.)

ستاركويذر (يتفحَّص البطاقة)**:** أدخليه.

(تخرج الخادمة من حيث جاءت.)

(برهة صمت يتفقَّد خلالها ستاركويذر دفتره.)

(تعاود الخادمة الدخول مصطحبة معها هوبارد.)

(يتقدَّم هوبارد نحو المكتب.)

(ستاركويذر سعيد جدًّا لرؤيته لدرجة أنه كاد يقوم من كرسيه ليُصافحه بيده.)

ستاركويذر (بحرارة)**:** لا يسعني سوى أن أخبرك أن ما قمت به كان رائعًا. أراحتني جدًّا مكالمتك الهاتفية بالأمس. أين هي؟

هوبارد (يَسحب حزمة المستندات من جيب صدريته ويناولها لستاركويذر)**:** ها هي — بكاملها. لقد حالفني الحظ.

ستاركويذر (يفتح الحزمة ويَنظر في عدد من المستندات بينما يتحدَّث)**:** أنت مُتواضع يا سيد هوبارد. الأمر تطلب أكثر، أكثر من مجرد حظ طيب. لقد تطلب، تطلب كفاءة لا تركن إلى حلٍّ وسط. كان الوقت قصيرًا. وكان عليك أن تُفكِّر، وتتحرك بسرعةٍ كبيرة، أكبر من أن تكون مجرَّد حظ طيب.

(يَنحني هوبارد له، بينما يُعيد ستاركويذر ترتيب الحزمة.)

ولا حاجة لأن أخبرك كم أنا ممتنٌّ لخدمتك! لقد زِدتُ اشتراكي في كارترايت إلى خمسين ألفًا، وسأخبر دوبلمان كي يرسل لك عرفانًا وجيهًا يفوق مجرَّد شكري لك على الخدمة التي لا تُقدَّر بثمن والتي قدمتَها لي.

(ينحني له هوبارد.)

هل ... هل قرأت المستندات؟

هوبارد: ألقيت عليها نظرةً خاطفة. هي بلا شك خطيرة. ولكننا جرَّدنا نوكس من أسلحته. وبدون هذه الوثائق، فإنَّ خطابه ظهر اليوم سيكون مهزلة؛ مجرَّد عواء هزلي. لكن احرص على أن تتولى أمرها جيدًا. (مشيرًا إلى الوثائق التي كان ستاركويذر لا يزال ممسكًا بها.) فإن لجيرست أياديَ طويلة.

ستاركويذر: لن يستطيع الوصول إليها هنا. إلى جانب أنني سأذهب إلى نيويورك اليوم وسآخُذُها معي. اعذرني يا سيد هوبارد ... (يبدأ في تعبئة صندوق الرسائل بالأوراق والرسائل الموجودة على المكتب.) أنا جد مشغول.

هوبارد (يفهم تلميح ستاركويذر)**:** لا بأس، فهمت. سأنصرف الآن. يجب أن أكون في النادي في غضون خمس دقائق.

ستاركويذر (أثناء تعبئة الصندوق، يضع حزمًا بعينِها من الأوراق وعدة دفاتر حسابات من الحجم المتوسط على أحد جوانبه بصورةٍ منظَّمة. ويتكلَّم أثناء ذلك وهوبارد يَنتظر)**:** سأودُّ الحديث معك أكثر في نيويورك. عندما تكون بالمدينة المرة القادمة احرص على الحضور لمقابلتي. أنا أفكر في شراء مجلة «بارثينون» وتغيير سياستها. أودُّ أن تتفاوَض على ذلك، كما أن هناك أشياء أخرى هامة أيضًا أريد أن أتكلَّم معك بشأنها. طاب يومك سيد هوبارد. أراك في نيويورك ... قريبًا.

(يتصافح هوبارد وستاركويذر.)

(يشرع هوبارد في الخروج من يَمين المؤخَّر.)

(تدخل مارجريت مِن يمين المؤخَّر.)

(يستمر ستاركويذر في تعبئة صندوق الرسائل طوال المشهد القادم.)

هوبارد: سيدة تشالمرز.

(يمدُّ يده إلى مارجريت فتُسلِّم عليه ببرُود، وبالكاد تومئ برأسها تُحيِّيه، وتشرَع في تجاوزه.)

(يتحدَّث هوبارد فجأة وبفظاظة.)

هوبارد: لا داعي لأن تكوني بهذا التعالي والتعجرُف يا سيدة تشالمرز.

مارجريت (تتوقَّف وتنظر إليه بفضول كما لو أنها تُحاول التأكد من كونه مخمورًا)**:** لستُ أفهمك!

هوبارد: لطالَما عاملتِني بهذه الطريقة، لكن قد فات أوان ذلك. ولن أتحمَّل ثانية قيَمك الأخلاقية المتعالية بعد الآن. لقد كنتِ تُثيرين إعجابي باستقامتك هذه لفترةٍ طويلة، وكنتِ تجعلينَني أستصغر نفسي. لكنني على دراية أكثر بالأمور الآن. يا لها مِن لعبة كنتِ تلعبينها ... بينما أنت مثل أي امرأةٍ أخرى! تَعرفين أين كنتِ ليلة أمس. كما أعرف أنا ذلك.

مارجريت: أنت وقح.

هوبارد (بإصرار)**:** قلت لكِ إنني أعرف أين كنتِ ليلة أمس. والسيد نوكس يعرف أيضًا أين كنتِ. لكني أراهن أن زوجَكِ لا يعلم شيئًا.

مارجريت: أنت تتجسَّس عليَّ!

(وتشير إلى والدها.)

وأفترض أنك أخبرته.

هوبارد: ولماذا أفعل ذلك؟

مارجريت: أنت صنيعته.

هوبارد: إن كان ذلك سيخفِّف من توتُّرك، فدعيني أخبرك أنني لم أقل له شيئًا. لكني أطلب منك بجدية أن تتعاملي معي ... بلطفٍ أكثر.

(لا تُبدي مارجريت أي إشارة، لكنَّها تجتازه متجاهلة إياه تمامًا.)

(يُحدِّق هوبارد فيها بغضب ثم يخرج.)

(ستاركويذر يُنهي تعبئة الصندوق فيضع المستندات فيه أخيرًا ثم يغلقه ويقفله بالمفتاح. وإلى أحد جوانب الصندوق توجد عدة دفاتر حسابات وحزم من الأوراق.)

ستاركويذر: صباح الخير يا مارجريت. أرسلتُ في طلبك لأنَّنا لم نُنهِ حديثنا الليلة الماضية. اجلسي.

(تأخذ مقعدًا وتجلس.)

لطالما كان من الصعب التعامل معكِ يا مارجريت. فلديك من الإرادة أكثر من أي امرأة. ومع ذلك فقد بذلت قصارى جهدي من أجلك. كان زواجك من توم مبشِّرًا للغاية؛ نجمه صاعد وذو أصلٍ كريم ومهذَّب ومُناسِب لك كثيرًا ...

مارجريت (تقاطعه بمرارة)**:** لا أعتقد أنك كنت تفكر في ابنتك على الإطلاق في هذه المسألة. أنا أعرف آراءك حول المرأة ومكانة المرأة. ولم يكن لي وزن عندك قط. وكذلك أمي وكوني حين تكون الأعمال هي قمَّة اهتماماتك وصدارتها، وهي كذلك دائمًا بالنسبة لك. أحيانًا أتساءل إن كنتَ تؤمن أن للمرأة روحًا. أما بالنسبة إلى زواجي؛ فقد رأيتَ أن توم يمكن أن يكون ذا عون لك. وهو بالفعل يَمتلك مختلف النقاط المميزة التي ذكرتَها عنه. لكن الأفضل من ذلك أنه كان طيِّعًا مرنًا، قابلًا لأن يتقَولب بما يناسب أداء أعمالك والتلاعب بالآلة السياسية ويُدبِّر لك التشريعات التي ترغب. لم يكن يشغل بالك أي نوع من الأزواج سيكون لابنتك التي لم تكن تعرف شيئًا عنها. لكنَّك أعطيت ابنتك له ... بعتها له لأنك تحتاج إليه ...

(تضحك بهستيرية)

في أعمالك.

ستاركويذر (بغضب)**:** مارجريت! يجب ألا تتكلَّمي بهذه الطريقة.

(ثم يهدأ)

آهٍ، أنت لا تتغيَّرين. لطالَما كنتِ على هذا النحو، دائمًا تُصرِّين على تنفيذ إرادتك …

مارجريت: لكم تمنَّيت من الله لو أكون ناجِحة في تنفيذ إرادتي!

ستاركويذر (بعنفٍ وشراسة)**:** كل هذا حديث لا طائل منه. لقد أرسلت إليكِ لأقول إنه لا بدَّ من وضع حد … لعلاقتك مع رجلٍ من نوع وشخصية نوكس … رجل واهم ونصَّاب ووغد …

مارجريت: لا داعي لأن تسيء إليه.

ستاركويذر: يجب أن يوضع حد … هذا كل شيء. هل تفهمين؟ يجب أن تنتهي.

مارجريت (بهدوء)**:** لقد انتهت. وأشكُّ في أنني سأراه مرةً أخرى. وهو لن يأتي إلى منزلي مرةً أخرى على أيِّ حال. هل أنتَ راضٍ الآن؟

ستاركويذر: راضٍ تمامًا. بالطبع أنتِ تعلَمين أنني لم يُساورني أي شك فيكِ قط بهذا … بهذا الشَّكل.

مارجريت (بهدوء)**:** يا لقلَّة ما تعرفه عن النساء! نحن في فهمِك مجرَّد كائناتٍ آلية، دُمًى خشبية لا تملك قلبًا ولا رغبات تخصُّها، وليس لهنَّ مصدر لسلوكهنَّ باستثناء ذلك النوع العفيف المتزمِّت الذي بلورَتْه نيو إنجلاند منذ نحو قرنٍ مضى.

ستاركويذر (بارتياب)**:** هل تَقصدين أنكِ وهذا الرجل …؟

مارجريت: أقصد أنه لم يحدث بيني وبينه أي شيء. أقصد أنَّني زوجة توم وأم تومي. ما أقصده أنك لا تفهمُني بأكثر مما كنت … أو أي امرأةٍ أخرى.

ستاركويذر (بارتياح)**:** هذا جيد.

مارجريت (تستطرد)**:** والأمر سهلٌ جدًّا. المبدأ بسيط. المرأة كائنٌ بشري. هذا كل ما في الأمر. مع ذلك أعتقد أن هذا جديد عليك.

(يدخل دوبلمان من جهة اليمين يَحمل في يدَيهِ شيئًا. وكان ستاركويذر على وشك الكلام لكنَّه يتوقف.)

(يتردَّد دوبلمان، ويُومئ له ستاركويذر بأن يتقدم.)

دوبلمان (يحيِّي مارجريت ويُوجِّه كلامه لستاركويذر)**:** هذا الشيك. قلتَ إنك تُريد توقيعه بنفسك.

ستاركويذر: نعم، الشيك الخاص بروتلاند. (يُفتِّش عن قلم.)

(يُقدِّم له دوبلمان قلمه الحبر.) لا؛ أريد قلمي الخاص.

(يفتح قفل صندوق الرسائل ويأخذ قلمه ويُوقِّع الشيك. يترك الصندوق مفتوحًا.)

(دوبلمان يأخذ الشيك ويخرج من جهة اليمين.)

ستاركويذر (يَلتقط وثائق من فوق كومة داخل الصندوق المفتوح)**:** ذلك المدعو نوكس. تَفكَّرتُ بأمرِه أمس. إنه رجل يَملك طاقةً كبيرة وله مُثُلٌ عليا. لكنه للأسف عاطفي. هو يَرنُو إلى الصواب … أعترف له بذلك. لكنَّه لا يَفهم الملابسات الفِعلية. إنه أكثر خطرًا على رفاهة الولايات المتَّحدة من عشرة آلاف من دعاة الفوضى. وهو غير عمَلي.

(يرفع الوثائق في يده.)

انظري، سُرقت هذه من ملفاتي الخاصة بيد لصٍّ تابع لإحدى الصحف الصفراء، وجرى تسليمها لنوكس. كان يظنُّ أنه سيدعم بها خطابه أمام المجلس ظهر اليوم. ومع ذلك فإنه واهمٌ وغير عملي بصورة ميئوس منها، بحيث عادَت كما ترين إلى يد مالكها الشرعي.

مارجريت: إذن طال الإفلاس خطابه؟

ستاركويذر: تمامًا. وقد أوشكَتِ الأمور على التكشُّف. سيطرده شعب الولايات المتحدة الصالح مصحوبًا بالضحكات المدوية … تلك عبارة حسنة: هي لهوبارد بحسب ما أعتقِد.

(يُسقِط الوثائق على غطاء الصندوق المفتوح، ويلتقط كومة من عدة دفاتر حسابات وحزم من الأوراق وينهض.)

لحظةً واحدة. يجب أن أضع هذه جانبًا.

(يذهب ستاركويذر إلى الكوة في يسار مؤخَّر المسرح؛ يضغط زرًا فتضيء الكوة بمصباحٍ كهربائي كاشفًا عن وجه خزانةٍ كبيرة. وخلال المشهد التالي لا يتلفت

حوله بسبب انشغاله التام بإدخال توليفة أرقام فتح الخزانة، ويفتحها ويضع فيها دفاتر الحسابات وحزم الأوراق ويتفقد حزمًا أخرى موجودة داخل الخزنة.)

(تنظر مارجريت نحو الوثائق على غطاء صندوق الرسائل المفتوح وتُلقي نظرة سريعة على الغرفة حولها وتتَّخذ قرارًا مفاجئًا. تستولي على الوثائق وتكون على وشك الهرب من الغرفة، ثم تتوقَّف فجأةً لتُعيد التفكير، وتغير رأيها. تنظر في أرجاء الغرفة بحثًا عن مكان يَصلح للإخفاء، وتستقرُّ عيناها على صورة لينكولن. تتحرَّك سريعًا وتلتقط كرسيًّا خفيفًا في طريقها للوحة، وتذهب إلى زاوية خزانة الكتب القريبة من اللوحة، تقف على الكرسي ومنه إلى حافة خزانة الكتب حيث تتشبث بها وتمد يدها وتُسقط الوثائق خلف اللوحة. تنزل بسرعة ثم تمسح الحافة التي وقفت عليها بمنديل، وكذلك مقعد الكرسي. بعد ذلك تحمل الكرسي عائدة به إلى حيث وجدته وتجلس على المقعد المجاور للمكتب.)

(يغلق ستاركويذر الخزانة، ويخرج من الكوة ويُطفئ الضوء ثم يتقدم نحو مقعد المكتب ويجلس. كان على وشك أن يُغلق الصندوق عندما اكتشف اختفاء المستندات. تصرف بهدوءٍ شديد حيال الأمر ومضى يتفقَّد محتويات الصندوق بعناية.)

ستاركويذر (بهدوء)**:** هل دخل أي أحد للغرفة؟

مارجريت: لا.

ستاركويذر (ينظر إليها بتمعُّن)**:** حدث شيء غير مسبوق تمامًا. عندما ذهبت للخزانة قبل لحظة تركت تلك الوثائق على غطاء الصندوق. ولم يَدخل أحد إلى الغرفة سواكِ. والآن اختفت الوثائق. سلميها لي.

مارجريت: أنا لم أخرج من الغرفة.

ستاركويذر: أنا أعلم ذلك. سلِّميها لي.

(سكوت.) إنها بحوزتِك. سلِّميها لي.

مارجريت: ليسَت بحوزتي.

ستاركويذر: هذا كذب. سلِّميها لي.

مارجريت (تنهض)**:** أخبرتُكَ أنها ليسَت بحوزتي ...

ستاركويذر (ينهض هو الآخر)**:** تكذبين.

مارجريت (تستدير وتشرَع في الانتقال عبر الغرفة)**:** حسنًا، ما دمت لا تصدقني ...
ستاركويذر (مقاطعًا)**:** إلى أين تذهبين؟
مارجريت: إلى البيت.
ستاركويذر (بلهجةٍ آمرة)**:** لا، لن تذهبي. عودي إلى هنا.

(تعود مارجريت وتقف بجوار الكرسي.)

لن تغادري هذه الغرفة. اجلسي.
مارجريت: أُفضِّل أن أظل واقفة.
ستاركويذر: اجلسي.

(تظلُّ واقفة ويُمسك هو بذراعها ويُجبرها على الجلوس في المقعد)

قلت اجلسي. ستعيدين الوثائق لي قبل أن تُغادري هذه الغرفة. هذا الأمر أهم مما تظنِّين. إنه يفوق كل شيءٍ عادي عن الحياة كما تعرفينها، وستُجبرينني على فعل أشياء أقسى بكثير مما يُمكن أن تتخيلي. يُمكن أن أنسى أنكِ ابنتي. أنكِ امرأة. وإذا ما اضطُررتُ إلى تمزيقِك للحصول عليها فسأفعل. ردِّيها إليَّ.

(سكوت.)

ماذا تنوين أن تفعلي؟

(تهزُّ مارجريت كتفَيها.)

ما هو ردك؟

(تهزُّ كتفَيها مرة أخرى.)

بماذا ستردين؟
مارجريت: لا شيء.
ستاركويذر (مُتحيِّرًا، يُغيِّر أسلوبه ونهجه، يجلس ويتكلم معها بهدوء)**:** لنتحدث في الأمر بهدوء. ليس لديكِ أدنى حق من أي نوع في هذه المُستندات. إنها ملكي. لقد سُرقت بيد لصٍّ من بين ملفاتي الخاصة. ولم أستردَّها سوى هذا الصباح ... قبل دقائق معدودة. إنها مِلكي كما أُخبرُك. تخصُّني. ردِّيها إليَّ.

مارجريت: أؤكِّد لك أنها ليست بحوزتي.

ستاركويذر: إنها بحوزتكِ بمكانٍ ما، أو مدسوسة في صدرك. لن تُنقذكِ هذه المستندات. وأؤكد لكِ أنني سأستعيدها. أنا أحذركِ. لا أريد أن أشرع في إجراءاتٍ متطرفة. ردِّيها إليَّ.

(يُبادر لضغط زر في المكتب، ثم يتوقف وينظر إليها)

ما قولك؟

(تهز مارجريت كتفيها.)

(يَضغط الزر مرتين.)

لقد أرسلت في طلب دوبلمان. لديكِ فرصةٌ واحدة قبل أن يصل. ردِّيها إليَّ.

مارجريت: هلا صدقتني يا أبي ولو هذه المرة فقط؟ خلِّ عني. أؤكِّد لك أنها ليست بحوزتي. أؤكِّد لك أنها لن تكون معي إذا ما تركتَني أغادر هذه الغرفة. أقسم لك بشرفي. هلا صدَّقتَني؟ أخبرني أنك تُصدِّقني.

ستاركويذر: أصدقك. أنتِ تقولين إنكِ لا تَحملينها معك. وأنا أصدقك. والآن أخبريني عن مكانها … لقد خبأتِها في مكانٍ ما …

(يجول بناظرَيه في الغرفة.)

ويُمكنك أن تذهبي فورًا.

(يدخل دوبلمان من جهة اليمين ويتقدم نحو المكتب. يظل ستاركويذر ومارجريت صامتين.)

دوبلمان: لقد استدعيتني يا سيدي.

ستاركويذر (يُلقي نظرة تساؤل أخيرة على مارجريت التي تَعتصِم بالصمت)**:** أجل، فعلت. هل كنتَ في الغرفة الأخرى طوال الوقت؟

دوبلمان: أجل سيدي.

ستاركويذر: هل مرَّ عليك أي أحد ودخل إلى هنا؟

دوبلمان: لا يا سيدي.

ستاركويذر: ممتاز. والآن سنَنظر ما تقول الخادمة.
(يضغط الزر مرةً واحدة) مارجريت، أنا أمنحكِ فرصةً أخيرة.
مارجريت: أخبرتُكَ أنني إذا غادرت هذه الغرفة فلن تكون معي.

(تدخل الخادمة من يمين المؤخَّر وتتقدم نحوهم.)

ستاركويذر: هل دخل أي أحد إلى هذه الغرفة من القاعة في الدقائق القليلة الماضية؟
الخادمة: كلا يا سيدي؛ ليس مذ حضرت السيدة تشالمرز.
ستاركويذر: وكيف تتأكدين من ذلك؟
الخادمة: كنت في القاعة سيدي، أنفُض الغبار طوال الوقت.
ستاركويذر: هذا يكفي.

(تخرج الخادمة من حيث جاءت.)

وقع خطب غير مألوف جدًّا يا دوبلمان. كنت أنا والسيدة تشالمرز وحدنا في هذه الغرفة. وتلك الخطابات التي سرقها جيرست أعادها هوبارد قبل ذلك بلحظات. كانت على مكتبي. وقد أوليتها ظهري هنيهة حيث ذهبتُ إلى الخزانة. وعندما عدت وجدتها قد اختفت.

دوبلمان (بحرج)**:** وبعد سيدي.
ستاركويذر: لقد استولَت عليها السيدة تشالمرز، وهي بحوزتها الآن.
دوبلمان (يُحاول الكلام فيتلعثم)**:** آه ... ممم ... وبعدُ سيدي.
ستاركويذر: أريد استعادتها. ما العمل؟

(يظلُّ دوبلمان في ارتباك شديد.)

ستاركويذر (صائحًا)**:** ماذا؟
دوبلمان (يتكلَّم بسرعة يحدوه الأمل)**:** أرسل ... أرسل إلى السيد هوبارد. هو أعادَها لك من قبلُ.
ستاركويذر: اقتراح جيد. اتصل بهوبارد. سيكون في نادي الصحافة.

(يهمُّ دوبلمان بالخروج جهة اليمين.)

ستاركويذر: لا تغادر الغرفة واستعمل هذا الهاتف. (يُشير إلى الهاتف على المكتب.)

(يلتفُّ دوبلمان جهة يسار المكتب ويستخدم الهاتف وهو واقف.)

ستاركويذر: من الآن فصاعدًا لن يُغادر أحد هذه الغرفة. وإذا كان من المحتمل أن ابنتي قد ارتكبت هذه السرقة، فمن الواضح أنني لا أستطيع الوثوق بأحد.

دوبلمان (يتحدَّث في التليفون)**:** أحمر ٦-٢-٤. أجل من فضلك.

(ينتظر.)

ستاركويذر (ينهض)**:** اتصل أيضًا بالسيناتور تشالمرز. قل له أن يأتيَ على الفور.

دوبلمان: أمرك سيدي ... فورًا.

ستاركويذر (يشرع في عبور المسرح إلى الوسط ويتحدث إلى مارجريت)**:** تعالَي إلى هنا.

(تَمتثِل مارجريت. مُذعِنة ومُرتعبة ومكبوتة للغاية، لكن بعزيمة لا تلين.)

لماذا فعلتِ ذلك؟ هل كنتِ صادقة عندما قلتِ إنه لا يُوجد شيء بينكِ وبين هذا المدعو نوكس؟

مارجريت: أبي، لا تَطرح هذا الأمر للنقاش أمام ...

(تُشير إلى دوبلمان.) ... أمام الخدم.

ستاركويذر: كان يَنبغي بك أن تُفكِّري في ذلك قبل أن تَسرقي المستندات.

(في ذلك الوقت كان دوبلمان يُجري اتصالًا بالهاتف ويتحدث بصوتٍ منخفض.)

مارجريت: يجب أن تحفظ كرامتي ...

ستاركويذر (مقاطعًا)**:** لا كرامة للص.

(يتحدَّث بحدة وبصوتٍ مُنخفِض.) مارجريت، لم يَفُت الأوان بعدُ. ردِّي الخطابات ولن يَعلم أحد بما حدث.

(سكوت لبرهة، تقف فيها مارجريت صامتة تُعاني التردُّد.)

دوبلمان: السيد هوبارد يقول إنه سيكون هنا خلال ثلاث دقائق. ولحُسنِ الحظ فإن السيناتور تشالمرز معه.

(يُومئ ستاركويذر برأسه وينظر إلى مارجريت.)

(يَنفتِح الباب على يسار مؤخَّر الغرفة وتدخل السيدة ستاركويذر وكوني. تَرتديان ملابس الخروج ومن الواضح أنهما كانتا على وشك الخروج من المنزل.)

السيدة ستاركويذر: نحن على وشك الخروج يا أنتوني. كنتَ مخطئًا في دفعنا لمحاولة أخذ قطار الثانية وعشر دقائق. ببساطة لا أستطيع اللحاق به. أعلم أننا لن نستطيع ذلك. لربما كان من الحكمة أكثر أن …

(فجأة تُدرك توتُّر الموقف بين ستاركويذر ومارجريت.) ماذا هناك، ما الأمر؟

ستاركويذر (يبدو عليه الانزعاج من دخولهما، ويتحدَّث إلى دوبلمان الذي انتهى من الحديث بالهاتف)**:** أَوصِد الأبواب.

(يُبادر دوبلمان لتنفيذ الأمر.)

السيدة ستاركويذر: الرحمة! يا أنتوني! ماذا حدث؟

(سكوت.)

السيدة ستاركويذر: مادج! ماذا حدث؟

ستاركويذر: سيتعيَّن عليكِ الانتظار هنا لبضع دقائق، هذا كل شيء.

السيدة ستاركويذر: لكن يجب أن أفي بالتزاماتي. وليس لديَّ ولو دقيقة أضيعها.

(تنظر إلى دوبلمان يغلِّق الأبواب.) لستُ أفهم ما يجري.

ستاركويذر (بتجهم)**:** ستعرفين قريبًا. لم أعد أستطيع الثقة بأحد بعد الآن. عندما ترى ابنتي أن من الملائم أن تسرق …

السيدة ستاركويذر: تَسرق … مارجريت! ماذا فعلتِ يا مارجريت؟

مارجريت: أين تومي؟

(السيدة ستاركويذر مرتبكة جدًّا ولا تستطيع الرد عليها، ولا تملك سوى التحديق في وجهها.) (تُحوِّل مارجريت نظرها نحو كوني وهي قَلِقة.)

كوني: إنه بالسيارة الآن ينتظرنا. أنتِ ستأتين معنا، أليس كذلك؟

ستاركويذر: دعيه ينتظر بالسيارة. وستأتي مارجريت حين أنتهي من التعامُل معها.

(يُسمع طرق جهة يمين مؤخر المسرح.)

(ينظر ستاركويذر نحو دوبلمان ويشير إليه أن يفتح الباب.)

(يفتح دوبلمان الباب ويدخل هوبارد وتشالمرز. وبعد تبادل الإيماءات المُقتضَبة والنظرات السريعة، تُختصر التحيات بسبب التوتر البادي على الجميع. ويُعيد دوبلمان إيصاد الباب.)

ستاركويذر (يدخل في الموضوع مباشرة)**:** اسمع يا توم. أنت تعرف تلك الرسائل التي سرَقها جيرست. لقد استعادها السيد هوبارد من نوكس وأعادها لي هذا الصباح. وفي غضون خمس دقائق سرَقَتْها مارجريت مني ... هنا في هذه الغرفة. وهي لم تُغادر الغرفة. إنها الآن بحوزتها. وأنا أريدها.

تشالمرز (الذي من الواضح عليه أنه لا يَستطيع التعامل مع زوجته، والذي يَلهث لالتقاط أنفاسه، ويده مغلولة إلى جانبه)**:** مادج، هل هذا صحيح؟

مارجريت: ليسَت بحوزتي. أؤكِّد لك أنها ليست بحوزتي.

ستاركويذر: أين هي إذن؟

(لا تُجيبه مارجريت.)

يمكننا العثور عليها لو كانت بالغرفة. فتِّشوا الغرفة. يا توم، ويا سيد هوبارد ويا دوبلمان. يجب استعادتها بأي ثمن.

(وبينما يجري تفتيش الغرفة تفتيشًا دقيقًا، تساعد كوني السيدة ستاركويذر التي صعقها الموقف بالجلوس على اليسار. تجلس مارجريت على نفس الكرسي المُجاوِر للمكتب.)

تشالمرز (يتوقف عن البحث، بينما يواصل الآخرون بحثهم)**:** ليس ثمَّة مكان للبحث عنها فيه. إنها ليست بالغرفة. هل أنت متأكد أنك لم تُضيِّعها؟

ستاركويذر: هراء. لقد أخذتها مارجريت. إنها حزمة ضخمة وليس من السهل إخفاؤها. وإذا لم تكن بالغرفة فبالتأكيد هي تحملها معها.

تشالمرز: مادج، سلِّميها له.

مارجريت: ليست معي.

(يخطو تشالمرز نحوها فجأةً ويبدأ في تحسُّس جسدها بحثًا عن الأوراق.)

مارجريت (تقفز على قدمَيها وتلطمُه على وجهِه بكفٍّ مفتوح)**:** كيف تجرؤ!

(يتراجع تشالمرز، وتوشك السيدة ستاركويذر أن تُصاب باضطرابٍ عصبي فتُهدِّئ كوني المرتعبة من روعها، بينما يُراقب ستاركويذر بتجهم.)

هوبارد (يتوقَّف عن البحث في الغرفة)**:** ربما من الأفضل أن تسمح لي بالانسحاب يا سيد ستاركويذر.

ستاركويذر: لا؛ هذه الأوراق موجودة في هذه الغرفة. وإذا لم يُغادر أي شخص المكان فلن تسنَح الفرصة لأن تخرج الأوراق من الغرفة. ما الذي تنصح بفعله يا هوبارد؟

هوبارد (بتردُّد)**:** لا يروق لي في ظل هذه الظروف أن أقترح ...

ستاركويذر: أكمل!

هوبارد: أولًا، يجب أن أتأكَّد من أن السيدة تشالمرز ... من أنها أخذتها.

ستاركويذر: تأكَّدتُ أنا من ذلك.

تشالمرز: لكن ما الدافع الذي يُمكن أن يجعلها تأتي على فعل ذلك؟

(يبدو على هوبارد أنه مُطَّلع على أمرٍ ما.)

ستاركويذر (موجهًا كلامه لهوبارد)**:** أنت تَعرف عن الأمر أكثر مما قد يبدو. ما الأمر؟

هوبارد: أُفضِّلُ ألا أتكلَّم؛ الأمر غاية في ...

(ينظر نحو السيدة ستاركويذر وكوني) ... في غاية الحساسية.

ستاركويذر: قد تجاوز هذا الشأن كل حساسية. ما الخطب؟

مارجريت: لا! لا!

(ينظر إليها تشالمرز وستاركويذر بارتياب مُفاجئ.)

ستاركويذر: تحدَّث يا سيد هوبارد.

هوبارد: أُفضِّل ... ألا أفعل.

ستاركويذر (بشراسة)**:** قلتُ لك تحدث.

هوبارد (بتردُّد مُصطَنع)**:** الليلة الماضية ... رأيت ... كنتُ في غرفة نوكس ...

مارجريت (مقاطعة له)**:** لحظة واحدة من فضلكم. دعه يتحدَّث ولكن قبل ذلك اصرف كوني.

ستاركويذر: لن يُغادِر أحد هذه الغرفة حتى تظهر الوثائق. مارجريت، سلميني الخطابات وعندها يمكن لكوني أن تغادر الغرفة بسلام، بل وستظل شفاه هوبارد مُطبقة أيضًا. لن يَنبس أحد أبدًا بكلمة عن أي شيءٍ مُخجِل رأته عينه. أعدك بذلك.

(يصمت لبرهة، حيث يَنتظر عبثًا أن تتَّخذ مارجريت قرارها.) تكلم يا هوبارد.

مارجريت (التي أصابها الرعب، وكانت تَرتجِف)**:** لا! لا تَفعل! سأُخبركم. سأعيد لك الوثائق.

(الكل في حالة ترقب. ترتجف مارجريت ثانية، ثم تستعيد رباطة جأشها وتتَّخذ قرارًا.)

لا؛ ليسَت بحوزتي. قل كل ما بدا لك.

ستاركويذر: أرأيتم. إنَّ الوثائق بحوزتها. لقد قالت إنها ستعيدها.

(موجهًا حديثه لهوبارد.) تابع الكلام.

هوبارد: الليلة الماضية ...

كوني (تَثِب من مكانها)**:** لن أمكث هنا!

(تندفع نحو يسار مؤخَّر الغرفة فتجد الباب موصدًا.) دعوني أخرج! أخرجوني!

السيدة ستاركويذر (تنوح وتستلقي للخلف في كرسيِّها، رجلاها ممدودتان تَنتفِضان وتتشنَّجان تمهيدًا لنوبة اضطرابٍ عصبي)**:** سأموت! سأموت! أعرف أني سأموت!

ستاركويذر (موجهًا حديثه لكوني بصرامة)**:** ارجعي إلى والدتك.

كوني (تعود على مضضٍ إلى جانب السيدة ستاركويذر، فتجلس إلى جوارها وتضع أصابعها في أذنيها)**:** لن أستمع إلى ما تقولون! لن أستمع.

ستاركويذر (بصرامة)**:** أبعدي أصابعك.

هوبارد: لنوقف هذا الأمر يا تشالمرز، أتمنَّى لو تخرجونني من هذا الأمر. لا أريد أن أشهد بشيء.

ستاركويذر: أبعدي أصابعك عن أذنَيك.

(تبعد كوني أصابعها عن أذنَيها على مضض.) والآن أكمل كلامك يا هوبارد.

هوبارد: أنا أحتجُّ. أنتم تزجُّونني لهذا الأمر زجًّا.

تشالمرز: ليس لكَ مخرج الآن. لقد ألقيتَ بشكوكٍ شائنة على زوجتي.

هوبارد: حسنًا. هي ... لقد زارت السيدة تشالمرز نوكس في منزله الليلة الماضية.

السيدة ستاركويذر (تَنفجِر)**:** أوه! أوه! حبيبتي مادج! هذا كذب! افتراء! (تركل بساقيها بعنف.)

(كوني تُهدئها.)

تشالمرز: يجب عليك أن تثبت ذلك يا هوبارد. وإذا كنت مخطئًا في الأمر بأي صورة فسيَنقلِب عليك بشدة.

هوبارد (يُشير إلى مارجريت)**:** انظر إليها. سلها.

(يَنظر تشالمرز إلى مارجريت بارتيابٍ مُتزايد.)

مارجريت: ليندا كانت معي. وكذلك تومي. كان لا بدَّ أن أزور السيد نوكس في موضوعٍ هام للغاية. ذهبتُ إلى هناك بالسيارة. وأخذت ليندا وتومي معي إلى داخل غرفة السيد نوكس.

تشالمرز (بارتياح)**:** آه، يُضفي هذا شكلًا مُختلفًا على الأمر.

هوبارد: ليس هذا كل ما حدث. لقد أرسلت السيدة تشالمرز الخادمة والصبي إلى السيارة وبقيت هي.

مارجريت (بسرعة)**:** لكن ذلك للحظة فقط.

هوبارد: بل أطول ... أطول بكثير من مجرَّد لحظة. أعرف كم قضيتِ من وقت؛ إذ كنت أنتظر بفارغ الصبر.

مارجريت (يائسة)**:** أؤكِّد أنها كانت مجرد لحظة ... هنيهة.

ستاركويذر (محدِّثًا هوبارد فجأة)**:** وأين كنتَ أنت؟

هوبارد: في غرفة نوم نوكس. لقد نسيَ ذلك الأحمق بشأني تمامًا. فقد كان مسرورًا للغاية ... مسرورًا بضيفِه الجديد.

ستاركويذر: قلت إنك رأيت.

هوبارد: باب غرفة النوم كان مواربًا. وأنا فتحته.

ستاركويذر: وماذا رأيت؟

مارجريت (تتوسَّل لهوبارد)**:** أليس في قلبك رحمة؟ قلتُ لك إنها مجرد لحظة.

(يهزُّ هوبارد كتفَيه.)

ستاركويذر: سنُحدِّد نحن طول تلك اللحظة، فتومي هنا وكذلك الخادمة. كوني، خادمة مارجريت موجودة، أليس كذلك؟

(لا تُجيبه كوني.) أجيبيني!

كوني: أجل.

ستاركويذر: دوبلمان، استدعِ خادمةً وأخبرها أن تُحضر تومي وخادمة السيدة تشالمرز إلى هنا.

(يذهب دوبلمان إلى المكتب ويضغط الجرس مرةً واحدة.)

مارجريت: لا! لا تُحضروا تومي.

ستاركويذر (ينظر بمكر إلى مارجريت ثم يتحدَّث لدوبلمان.)**:** يمكن الاكتفاء بخادمة السيدة تشالمرز.

(يُسمَع طرق على الباب في يسار مؤخَّر الغرفة. يفتح دوبلمان الباب ويتحدَّث مع الخادمة ثم يغلق الباب.)

ستاركويذر: أوصده.

(يوصد دوبلمان الباب.)

تشالمرز (يتَّجه نحو مارجريت)**:** إذن أيتها الطاهرة، كنتِ تعبثين وتتصرَّفين بطيش واستهتار.

مارجريت: ليس لك أيُّ حق في الحديث معي بهذه الطريقة يا توم ...

تشالمرز: أنا زوجك.

مارجريت: لم تَعُد كذلك منذ وقتٍ طويل.

تشالمرز: ماذا تقصدين؟

مارجريت: أقصد تمامًا ما يدور في ذهنك الآن.

تشالمرز: مادج، أنتِ واهمة. ولا تَعرفين شيئًا يدينني.

مارجريت: أنا أعرف كل شيء ... وإن شئت فقل بدون دليل. أنا امرأة. كل شيء ظاهر عليك. يا للقرف! لقد نضحتْ رائحتُك بذلك لسنوات. لا أشك في صعوبة الحصول على الأدلة أو البراهين كما تُسميها. لكنني لم أكن مهتمَّة. كنت قد أنجبت صغيري. وعندما جاء انقطع أملي فيك يا توم. ولم يَبدُ أنك كنت في حاجة لي.

تشالمرز: ولكي تَنتقمي تماديتِ مع ذلك المدعو نوكس.

مارجريت: لا، لا. هذا ليس صحيحًا يا توم. أؤكِّد لك أن هذا ليس صحيحًا.

تشالمرز: كنتِ هناك، ليلة أمس في منزله بمفردك ... وعما قريب سنَكتشِف كم طال ... (طرقات على الباب الأيسر جهة مؤخَّر الغرفة. يتقدم دوبلمان لفتح الباب.) والآن سرقتِ أوراق والدك الخاصة من أجل عشيقك.

مارجريت: ليس بعشيقي.
تشالمرز: لكنكِ اعترفتِ أن الأوراق معكِ. فلمَن إذن غير نوكس قد تسرقينها؟

(تدخل ليندا. شاحبة ومُتوتِّرة، وتنظر إلى مارجريت لتحصل منها على إشارة حول ما يجب أن تفعله.)

ستاركويذر: ها قد جاءت المرأة.

(يخاطب ليندا)

اقتربي.

(تتقدَّم ليندا نحوه في تردد)

أين كنتِ الليلة الماضية؟ تعرفين ما أقصد.

(ليندا لا تتكلَّم.) أجيبيني.

ليندا: لا أدري ماذا تقصد سيدي، إلا إذا ...

ستاركويذر: أجل هو ذا. أكملي.

ليندا: لكني لا أعتقد أن لك أيُّ حقٍّ في أن تسألني مثل هذه الأسئلة. ماذا لو ... لو كنتُ خرجتُ مع شاب ...

ستاركويذر (موجهًا حديثه لمارجريت)**:** لديك شابةٌ مُخلصةٌ جدًّا.

(ثم موجهًا حديثه بسرعة للآخرين.) لن نحصل منها على شيء. أحضروا تومي. اضرب الجرس يا دوبلمان.

(يشرع دوبلمان في تنفيذ الأمر.)

مارجريت (توقِف دوبلمان)**:** لا، لا؛ ليس تومي. أخبريهم يا ليندا.

(ليندا تنظر إليها بعطف.)

(بنبرة رقيقة.) لا عليكِ. أخبريهم بالحقيقة.

تشالمرز (يندفع متدخِّلًا)**:** الحقيقة كاملة.

مارجريت: أجل يا ليندا، الحقيقة كاملة.

(تبدو ليندا حزينة للغاية، وتُشجِّع نفسها لتجتاز المحنة.)

ستاركويذر: لا بأس يا دوبلمان.

(موجهًا حديثه إلى ليندا.) حسنًا. كنتِ في غرفة السيد نوكس الليلة الماضية مع سيدتك وتومي.

ليندا: أجل سيدي.

ستاركويذر: وأرسلتك سيدتك أنت وتومي إلى خارج الغرفة.

ليندا: أجل سيدي.

ستاركويذر: وانتظرتِ بالسيارة.

ليندا: نعم سيدي.

ستاركويذر (يَثِب فجأة إلى النقطة التي كان يحاول التقدُّم نحوها)**:** لكم من الوقت؟

(تدرك ليندا مغزى السؤال لحظةَ أن فتحت فمها لتجيب، فتتوقَّف عن الكلام.)

مارجريت (في هدوءٍ وئيد ينم عن القنوط)**:** لنصف ساعة ... لساعة ... لأي مدة من الوقت تمليها عقولُكم القبيحة. هذا يكفي يا ليندا. يُمكنُكِ الذهاب.

ستاركويذر: لا، لا يُمكنك ذلك. قفي هناك جانبًا.

(يخاطب الآخرين.) الأوراق في هذه الغرفة، وسأظلُّ على يقين من هذا.

هوبارد: أعتقد أنني كشفت الدافع.

كوني: أنت حقير!

تشالمرز: لم تُخبرنا بما رأيت.

هوبارد: رأيتهما بعضهما في أحضان البعض ... عدة مرات. ثم عثرت على المستندات المسروقة حيث ألقاها نوكس. وضعتُها في جيبي ثم أغلقت الباب.

تشالمرز: لكم من الوقت بعد ذلك ظلَّا معًا؟

هوبارد: لبعض الوقت، لوقتٍ طويل.

تشالمرز: وعندما رأيتَهما لآخر مرة؟

هوبارد: كانا بعضهما في أحضان البعض ... يُمكن القول إنهما كانا يتعانقان بحماسٍ بالغ.

(يَنكسِر تشالمرز.)

مارجريت (مخاطبة هوبارد)**:** يا لك من جبان!

(يَبتسِم هوبارد.)

(ثم تُخاطب ستاركويذر.)

متى ستأمر كلبَك هذا بالتوقف؟

ستاركويذر: عندما أحصل على الأوراق. قد رأيت ما جعلتُكِ تدفعين من ثمنٍ لهم حتى الآن. فأنصتي لي جيدًا. وأنصت أنت أيضًا يا توم. أنتم تعرفون قيمة هذه الخطابات. وإذا لم تُستردَّ فستُعجِّل بتغييرٍ لن ينال المال وحسب بل والسلطة أيضًا. أشك حتى في أنه سيُعاد انتخابك؛ لذلك يجب نسيان ما جرى في هذه الغرفة ... نسيانه تمامًا. هل تفهمون؟

تشالمرز: لكنَّها خيانةٌ زوجية.

ستاركويذر: لا داعي لاستخدام هذه الكلمة. الفكرة هي أن كل شيء يجب أن يعود كما كان في السابق.

تشالمرز: نعم، أعي ذلك.

ستاركويذر (مخاطبًا مارجريت)**:** اسمعي. لن يُثير توم أي متاعب. والآن أعطيني الأوراق. إنها ملكي، أنت تعرفين ذلك.

مارجريت: أعتقد أن الناس هم المُلَّاك الحقيقيُّون لهذه الأوراق، الذين جرى الكذب عليهم وخداعهم وسرقتهم وليس أنت.

ستاركويذر: هل تَفعلين هذا في سبيل حبِّك لهذا ... هذا الرجل، هذا الغوغائي؟

مارجريت: من أجل الناس والأطفال، من أجل المستقبل.

ستاركويذر: هراء. ردِّي على سؤالي.

مارجريت (بنبرة بطيئة)**:** أكاد لا أعرف. تقريبًا لا أعرف.

(تُسمع طرقات على الباب الأيسَر مِن مؤخَّر الغرفة. ويجيب دوبلمان الطارق.)

دوبلمان (ينظر في بطاقة أعطتها له الخادمة، ويخاطب ستاركويذر)**:** السيد روتلاند.

ستاركويذر (يُلوِّح بضجر، ثم فجأة يُغير رأيه ويتحدَّث بتجهم)**:** ممتاز. أدخله. لقد دفعتُ الكثير من أجل الكنيسة. حان الوقت لنرى ما ستفعله الكنيسة من أجلي.

كوني (تَندفع عبر المسرح نحو مارجريت وتلفُّ ذراعَيها حولها وتنشج)**:** أرجوكِ، أتوسَّل إليكِ يا مادج سلِّميهم الأوراق، ولن يتكلم أحد عن شيء. لقد سمعتِ ما قاله أبي. فكري فيما يَعنيه الأمر بالنسبة إليَّ إذا خرجت هذه الفضيحة للعلن. أبي سيُخرِس الألسنة. ولن يجرؤ أحد على التلفُّظ بكلمة حول الأمر. أعطيه الأوراق.

مارجريت (تُقبِّلها وتهزُّ رأسها نفيًا وتُنحِّيها جانبًا): لا؛ لا أستطيع. لكن يا عزيزتي كوني …

(تصمت كوني.)

كل هذا ليس حقيقيًّا يا كوني. إنه ليس عشيقي. قولي لي إنك تُصدِّقينني.
كوني (تُربِّت عليها): أنا أصدقك. لكن هلَّا أعدتِ لهم الأوراق من أجلي؟

(صوت طرقات على الباب.)

مارجريت: لا أستطيع.

(يدخل روتلاند.)

(تعود كوني لتتولى رعاية السيدة ستاركويذر.)

روتلاند (يتقدَّم متهلِّلًا نحو ستاركويذر): يا إلهي، يا له من تجمع عائلي! لقد أسرعت في الحال يا عزيزي السيد ستاركويذر كي أشكرك شخصيًّا، قبل أن تذهب إلى نيويورك، على كرمك السخي … أجل، مساهمتك الكريمة السخية …

(وهنا يُدرك الموقف المتأزم، فيقف عاجزًا فاغرًا فاه يتنقل بنظراته من شخص لآخر.)

ستاركويذر: هناك سرقة قد ارتُكبت يا سيد روتلاند. سرَقَت ابنتي مني شيئًا قيمًا جدًّا؛ رزمة من الأوراق الخاصة، وهي هامة جدًّا … وإذا نجَحَتْ في نَشرِها على الملأ فستُصيبني بضررٍ فادح إلى المدى الذي لن أستطيع معه ماديًّا تقديم أي تبرعاتٍ كريمةٍ سخية لك أو لأي شخصٍ آخر. وقد فعلت كل ما بوسعي لإقناعها بإعادة ما سرقَتْه. والآن حاول أنت. اجعلها تُدرك حجم الجنون الذي تفعله.
روتلاند (مُتحيِّر تمامًا، يتردَّد ويتلعثم): بصفتي مرشدكِ الرُّوحي يا سيدة تشالمرز … إذا كان ما يُقال صحيحًا … فإني أنصحك … أقترح عليك … احم … أناشدكِ …
مارجريت: أرجوك يا سيد روتلاند لا تكن ساذجًا. إنَّ أبي يصنع منك حصان تمويه. فمهما فعلتُ أو لم أفعل، أعتقد أني أصنع الصواب. والأمر كله شائن. الناس قد وقَعُوا ضحية للكذب والنَّهب، وأنت مجرَّد شخص يَدين نفسه بعار إدامة الكذب والنهب. وإذا

أصررتَ على طاعة أوامر والدي — نعم أوامره — فستَدفعُني للاعتقاد بأنكَ تقوم بدورك هذا من باب الرغبة في الحصول على المزيد من هذه التبرُّعات الكريمة السخية. (ينخر ستاركويذر ساخرًا من كلامها.)

روتلاند (مُحرَج ومُتحيِّر بلا حيلة)**:** أخشى ... احم ... أن هذه مسألةٌ حساسة جدًّا لا أستطيع التدخل فيها يا سيد ستاركويذر. أودُّ أن أقترح أنه من المُستحسَن لي أن أنسحب ... احم ...

ستاركويذر (متأمِّلًا)**:** ها قد خذلَتْني الكنيسة أيضًا.

(ثم مخاطبًا روتلاند.) لا، سوف تبقى هنا معنا.

مارجريت: أبي، إنَّ توم وحده في السيارة. ألن تتركني أذهب؟

ستاركويذر: أعطيني الأوراق.

(تنهض السيدة ستاركويذر وتمشي مُترنِّحة نحو مارجريت، تئنُّ وتنشج.)

السيدة ستاركويذر: مادج، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا يا مادج. أنا لا أصدق. أنا متأكِّدة أنك لم تفعلي هذا الأمر الشنيع. لا يمكن أن تَرتكِب ابنتي مثل هذا الشر. لا أستطيع أن أصدق أذنيَ ...

(تخرُّ السيدة ستاركويذر فجأة على ركبتَيها أمام مارجريت، يداها متشابكتان وتَنتحِب بهستيرية.)

ستاركويذر (يتقدم إلى جانبها)**:** انهضي.

(ثم يتردَّد ويفكر.) لا، بل أكملي. لربما تستجيب لكِ.

مارجريت (تُحاول أن تُنهِض أمها على قدمَيها)**:** لا تفعلي ذلك يا أمي، لا تفعلي أرجوك انهضي.

(تُقاومها السيدة ستاركويذر بشكلٍ هستيري.)

أنتِ لا تفهمين الأمر يا أمي. أرجوكِ، أتوسل إليك أن انهضي.

السيدة ستاركويذر: مادج، أنا والدتك أتوسل إليكِ وأنا على ركبتي خاضعة. سلِّمي الأوراق لوالدك، وسأنسى كل ما سمعتُه. فكِّري في سُمعة العائلة. أنا لا أصدق ذلك، لا أصدق كلمةً واحدة مما سمعت؛ لكن فكِّري في العار الذي سيلحق بنا. فكِّري فيَّ أنا. فكِّري في

كوني؛ شقيقتك. فكِّري في تومي. ستضعين والدك في موقف غاية في السوء. وستَقتلينَني. (تئنُّ وتلفُّ رأسها.)

سأقع فريسة المرض. أعلم أنني سأصاب بالمرض.

مارجريت (تنحني على والدتها وتُساعدها على الوقوف، بينما تأتي كوني عبر المسرح لتشارك في مساعدة الأم)**:** أمي، أنتِ لا تستوعبين الأمر. هناك على المحك ما هو أكثر من مجرَّد سمعة العائلة أو …

(تنظر نحو روتلاند)

… الرب. أنت تتكلَّمين عن كوني وتومي، وهناك مليونان من أمثال كوني وتومي يعملون كأطفال عاملين في الولايات المتَّحدة. فكِّري فيهم. وبجانب ذلك يا أمي، فكل ما سمعتِه هو محض أكاذيب. لا يوجد أي شيء بيني وبين السيد نوكس. إنه ليس عشيقي. وأنا لستُ … لست ذلك الشيء المخجل … الذي قاله هؤلاء الرجال عني.

كوني (مناشدة)**:** مادج.

مارجريت (مناشدة لها أيضًا)**:** كوني. ثِقي بي. أنا على صواب. أنا واثقة أنني على صواب.

(السيدة ستاركويذر تئنُّ وتغمغم وهي تستند إلى كوني، وتعود عبر المسرح نحو المقعد.)

ستاركويذر: مارجريت، قبل بضع دقائق، عندما أخبرتِني أنه لا يوجد شيء بينك وبين هذا الرجل، كنتِ تكذبين عليَّ … كنتي تكذبين كما تَكذب الخبائث من النساء.

مارجريت: من الواضح أنك تُصدِّق بوقوع أسوأ الأشياء.

ستاركويذر: لا يوجد ما هو أقل من الأسوأ لأصدقه. بجانب أن الأكثر شناعة من علاقتكِ مع هذا الرجل هو ما فعلتِه هنا في هذه الغرفة، تسرقين مني وتحت سمعي وبصري. لقد تقاطعت إرادتك مع إرادتي، وفي أمرٍ يتخطَّى شئونكِ. هذه اللعبة التي تُحاولين لعبها خاصة بالرجال، وسوف تتحمَّلين عواقبها. سوف يتقدَّم توم بطلب للحصول على الطلاق.

مارجريت: هذا التهديد أجوف على أقل تقدير.

ستاركويذر: وبهذه الوسيلة سنَستطيع تحطيم نوكس، وبنفس كفاءة الوسائل الأخرى. وهذا شيء لن يتسامح فيه الناس الطيبون المُغفَّلُون مع نائبهم المختار. سنجعل الأمر فضيحة كبيرة له …

السيدة ستاركويذر (مصدومة)**:** أنتوني!

ستاركويذر (يَنظر بانزعاج إلى زوجته ويُكمل كلامه)**:** وهناك شيءٌ آخر. بعد إثبات أنك امرأةٌ خائنة لزوجك، ستُصبِحين غير لائقة أخلاقيًّا لرعاية طفلك، وسيُبعَد عنك ويُؤخَذ منك.

مارجريت: لا، لا. هذا لن يكون. لم أرتكب أي خطأ. لا تُوجد محكمة ولا قاضٍ منصف يمكن أن يُصدر حكمًا بناءً على دليلٍ مأخوذ من مخلوق مثل هذا. (تشير إلى هوبارد.)

هوبارد: أدلَّتي مدعومة. ففي غرفةٍ مُجاوِرة كان يوجد رجلان. وأنا أعرف ذلك لأنَّني وضعتهما هناك. هم رجال والدك في هذا المكان. وهناك ما يُسمَّى بإمكانية الرؤية عبر ثقب مفتاح الباب الموصد. لقد شاهدوا ما حدث.

مارجريت: وهل سيُقسِمون على ذلك ... بأي شيء؟

هوبارد: ليس لديَّ شكٌّ في أنهم يعرفون ما سيقسمون عليه.

ستاركويذر: لقد أخبرتك بمجرَّد بعض الأشياء التي سأفعلها بكِ يا مارجريت. لم يَفُت الأوان. أعيدي الأوراق، وسأتغاضى وأنسى كل شيء.

مارجريت: سوف تتغاضى عن ... عن الخيانة. أنت يا مَن قلتَ للتوِّ إنني غير لائقة أخلاقيًّا لرعاية ابني ستَسمح لي بالاحتفاظ به. أنا لم أتخيَّل قطُّ يا والدي أن ينحدر فجورك إلى مثل هذا الدركات الدنيئة. رغم أنك تُصدِّق أنني ارتكبت مثل هذه الأشياء الشائنة، ستغفر وتنسى كل شيء في سبيل بضع قصاصات من الورق تَرمز إلى المال، وتُمثل رخصة لك للنهب والسرقة من الناس. هل هذه هي أخلاقك وقيمك ... المال؟

ستاركويذر: إن لي قيمي وأخلاقي. وهي ليسَت المال. أنا مجرَّد شخص يدير هذا المال؛ لكنني أفهم فعلًا وبدرجةٍ سامية واجبات إدارتي ...

مارجريت (تقاطعه بمرارة)**:** ولا يُمكن أن تقف السرقات والأكاذيب وكل الأخطاء الصغيرة الشائعة مثل الخيانة؛ عقبة في طريق أداء واجباتك السامية ... إنَّ الغايات تبرر الوسائل.

ستاركويذر (باقتضاب)**:** بالضبط.

مارجريت (تخاطب روتلاند)**:** ثمَّة ما يُدعى باليسوعية يا سيد روتلاند. أقترح عليك بصفتك المستشار الروحي لوالدي أن ...

ستاركويذر: كُفِّي عن هذا العبث. أعطيني الأوراق.

مارجريت: ليست بحوزتي.

ستاركويذر: ما العمل يا هوبارد؟

هوبارد: إنها بحوزتها. لقد اعترفت بقدرٍ ما أنها ليسَت في مكانٍ آخر بالغرفة. وهي لم تخرج من الحجرة. ليس بيدِنا فعل شيء سوى تفتيشها.

ستاركويذر: لا يتبقى شيءٌ آخر يُمكن فعله. أنتما يا دوبلمان ويا هوبارد، خذاها خلف الستار. جرداها من ملابسها. واستعيدا الأوراق.

(تبدو عزيمة دوبلمان واهنة، لكن لم يبدُ على هوبارد عدم الرغبة.)

تشالمرز: لا؛ لن أسمح بذلك. لن يَفعل هوبارد شيئًا كهذا.

مارجريت: فات الأوان يا توم. لقد وقفتَ جانبًا وسمحتَ أن يُجرِّدوني من كل شيءٍ آخر. وبضع قطع من الملابس لن تهمَّ الآن. وإذا كنت سأُجرَّد من ملابسي ويفتشني الرجال، فإن السيد هوبارد سيكون مثل غيره. ربما يودُّ السيد روتلاند أن يمد يد المساعدة.

كوني: أوه، مادج! سلميها لهم.

(تهزُّ مارجريت رأسها نفيًا.)

(تخاطب كوني ستاركويذر.) إذن دعني أفتِّشها أنا يا أبي.

ستاركويذر: أنت راغبة في ذلك أكثر من اللازم. لا أريد مُتطوِّعين. وأشك في أنني يمكن أن أثق بك أكثر من أختك.

كوني: إذن دع أمي تفتشها.

ستاركويذر (ينخر ساخرًا)**:** يُمكن لمارجريت أن تُهرب صندوق أمتعة مليء بالوثائق أمام أمك.

كوني: لكن ليس الرجال يا أبي! ليس الرجال.

ستاركويذر: ولم لا؟ لقد كشفت نفسَها مجرَّدة من أي حياء.

(آمرًا.) دوبلمان!

دوبلمان (معتقدًا أن ساعته قد حانت، ويكاد يموت رعبًا)**:** أ ... أ ... أمرك سيدي.

ستاركويذر: استدعِ الخدم.

السيدة ستاركويذر (تصرُخ محتجة)**:** أنتوني!

ستاركويذر: هل تُفضِّلين أن يفتشها الرجال؟

السيدة ستاركويذر (خائرة): سأموت، سأموت. أعرف أنني سأموت.

ستاركويذر: دوبلمان. اضرب الجرس لحضور الخدم!

(يعبر دوبلمان المسرح باتجاه المكتب وهو متردِّد في التنفيذ؛ ويضغط على الزر، ثم يعود متوجهًا نحو الباب.) أحضر الخادمات ومدبرة المنزل.

(ليندا التي ترغب بشكلٍ أعمى أن تُساعد مارجريت تشرع في الاندفاع نحو مارجريت)

قفي هناك ... في الزاوية.

(يُشير إلى مقدَّم المسرح جهة اليمين.)

(تتوقَّف ليندا حائرة وتومئ لها مارجريت أن تطيع الأمر وتبتسم لها مُشجِّعة. وتذهب ليندا إلى يمين المقدمة وهي تحتجُّ بكل وجدانها.)

(طرقات على يمين مؤخَّر المسرح فيفتح دوبلمان الباب، يتكلم مع خادمة ثم يغلق الباب ويوصده.)

ستاركويذر (مخاطبًا مارجريت): لم يعد هناك وقتٌ للتفاهات، ولا للعواطف المثيرة للغثيان. أعيدي الأوراق أو تحمَّلي العواقب.

(لا تُجيبه مارجريت.)

تشالمرز: أنتِ انخرطتِ في لعبة الرجال، وعليكِ أنت تُكملي أو أن تَخرجي منها. سلمي الأوراق.

(تظلُّ مارجريت عازمة وهادئة.)

هوبارد (بلباقة): اسمحي لي أن أوضح لكِ يا عزيزتي السيدة تشالمرز أنك لم تَسرقي فقط من والدك. بل تخونين طبقتَكِ التي تنتمين إليها.

ستاركويذر: وتتسبَّبين في ضرر لا يُمكن إصلاحه.

مارجريت (تَنفجِر فجأة وتشير نحو صورة لينكولن): وأظن أنه أيضًا قد تسبَّب في ضرر لا يمكن إصلاحه عندما حرَّر العبيد وحافظ على الاتحاد. وهو مع ذلك لم يَعترِف بانتمائه لأي طبقة. وأنا أفضل أن أكون خائنة لطبقتي عن أن أخون مبادئه.

ستاركويذر: غوغائية. غوغائية.

(طرق على الباب الأيمن في مؤخَّر المسرح. يفتح دوبلمان الباب وتدخل السيدة ميدلتون مُدبِّرة المنزل، تتبعها خادمتان. يقفن في الخلف تتقدَّمهن مدبرة المنزل التي تتطلع نحو ستاركويذر بترقُّب. بينما تبدو الخادمتان مرتعبتان ومذعورتان.)

مدبرة المنزل: أمرك سيدي.

ستاركويذر: سيدة ميدلتون، معك الخادمتان تساعدانك. خُذنَ السيدة تشالمرز خلف هذا الستار وفتِّشنها. جردنها من ملابسها كلها وفتشنها بعناية.

(يبدو على الخادمات الاضطراب والتشوش.)

مدبِّرة المنزل (رابطة الجأش)**:** أمرك سيدي. وعن ماذا أبحث؟

ستاركويذر: أوراق، مستندات أي شيء غير عادي. وسلِّمن ما تجدنه لي.

مارجريت (في حالة فزع مفاجئة)**:** هذا شنيع! هذا شائن!

ستاركويذر: وكذلك سرقتُك للمستندات أمرٌ شنيع.

مارجريت (مُناشِدة الرجال الآخرين، مُتجاهِلة روتلاند ودون أي اعتبار لدوبلمان على الإطلاق)**:** يا لجُبنِكم! هل ستقفون مُتفرجين وتسمحون بحدوث هذا الشيء؟ توم، أليس فيك ذرة من الرجولة؟

تشالمرز (بإصرار)**:** إذن أعيدي الأوراق.

مارجريت: سيد روتلاند.

روتلاند (بإخفاق وتملُّق شديدَين)**:** عزيزتي السيدة تشالمرز. أؤكد لكِ أن الملابسات كلها مُؤسِفة. لكنك مخطئة بصورةٍ بالغة الوضوح لدرجة أنني لا أستطيع التدخل ... (تُشيح مارجريت بوجهها عنه في احتقارٍ صاعق.) ... لا أستطيع التدخل لصالحك.

دوبلمان (ينهار بصورة غير متوقَّعة)**:** لا أستطيع احتمال هذا. أنا أترك خدمتك يا سيدي. إنه لأمرٌ شائن. أنا أستقيل الآن وفي الحال. يستحيل أن أكون طرفًا فيما يحدث. (يجاهد لفتح الباب.) سأخرج على الفور. أيها المتوحشون! يا لهمجيتكم!

(يَنفجر في نشيج مسبب للاختلاج.)

تشالمرز: آه، عشيقٌ آخر كما أرى.

(يتمكَّن دوبلمان من فتح قفل الباب ويشرع في فتحه.)

ستاركويذر: أغلق الباب! أيها الأحمق!

(يتردَّد دوبلمان.)

قلت لك أغلقه!

(يُطيع دوبلمان الأمر.)

أوصده!

(يُطيع دوبلمان الأمر.)

مارجريت (تَبتسم بحزن، وتشكره برقة)**:** شكرًا لك يا سيد دوبلمان.

(تخاطب ستاركويذر.) أبي، أنت بالتأكيد لن تَرتكب هذا الأمر الشائن عندما أقول لك، إنني أقسم ...

ستاركويذر (مقاطعًا)**:** أعيدي الوثائق إذن.

مارجريت: أقسم لك إنها ليست معي. ولن تجدها بين ملابسي.

ستاركويذر: لقد كذبتِ عليَّ بشأن نوكس ولا يُعقل أن أصدق أنكِ لن تكذبي عليَّ بشأن هذا الأمر أيضًا.

مارجريت (بثبات)**:** إذا فعلتَ هذا الشيء فلن تكون أبي إلى الأبد. وسيَنتهي وجودك بالنسبة إليَّ.

ستاركويذر: أنت تحملين الكثير من التصميم الذي ورثتِه عني؛ مما سيذكِّرك دائمًا من أين ورثتِه. ابدئي تفتيشَها يا سيدة ميدلتون.

(تجمع مدبرة المنزل الخادمات بإشارة من عينَيها، ويتقدمن نحو مارجريت.)

كوني (بعاطفة)**:** أبي، إذا فعلت هذا فلن يُخاطبك لساني أبدًا.

(تنهار باكية.)

(السيدة ستاركويذر خلال المشهد التالي تُعاني من ارتجافٍ خفيف لكنه مُتواصِل، وتَنتحِب بهستيريا.)

ستاركويذر (يَنظُر في ساعته بسرعة)**:** لقد أهدرتُ ما يكفي من وقت في هذا الأمر. تابعي يا سيدة ميدلتون.

مارجريت (تتراجع بشراسة بعيدًا عن مُدبِّرة المنزل)**:** لن أخضع إلا مقهورة. سأقاوم، أعدكن.

ستاركويذر: استخدمنَ القوة إذا لزم الأمر.

(تتردَّد الخادمات لكن مدبرة المنزل تأمرهنَّ بعينَيها أن يقتربن من مارجريت، فيُطِعْنها.)

(تتراجع مارجريت مُبتعدَة حتى يوقفها المكتب.)

مدبرة المنزل: هيا يا سيدة تشالمرز.

(تقف مارجريت مُرتجفة لكنها ترفض كلام مدبرة المنزل.)

(تضع مدبِّرة المنزل يدها على ذراع مارجريت.)

مارجريت (تُزيح يدها بعنف وتبكي باستعلاء)**:** تراجعي!

(تتراجَع مدبرة المنزل غريزيًّا وكذلك الخادمات. لكن ذلك للحظة فقط. فيتقاربن من مارجريت ليقبضنَ عليها.)

(تصرخ مارجريت بشكلٍ محموم طلبًا للمساعدة.) ليندا! ليندا!

(تَندفع ليندا لتُنجد سيدتها، لكن يمسك بها تشالمرز فتُناضِل للتخلُّص من قبضته، فيلوي ذراعها ويجبرها في النهاية على أن تقف ساكنة.)

(تندفع مارجريت وهي تُناضل وتقاوم عبر خشبة المسرح إلى خلف الستارة، والخادمات ينشطن في أداء مهمتهن. تخرج إحداهن من خلف الستارة لغرض إحضار كرسي، والذي من الواضح أن مارجريت أُجبرت على الجلوس عليه. والستارة على ارتفاع يجعل ذراعَي مارجريت العاريَين يظهران من فوقه حين تقف على قدمَيها وتُقاوم. يُسمع صراخٌ خافت وصوت مدبرة المنزل تحاول إقناع مارجريت بالخضوع لهن.)

مارجريت (فجأةً وبشكلٍ مُثير للشفقة)**:** لا! توقفن!

(تُصبح المقاومة أكثر عنفًا، وينقلب الستار كاشفًا عن مارجريت جالسة على المقعد شبه عارية، تتشبَّث بمظروف في يدَيها، تُحاول الخادمات إجبارها على التخلي عنه.)

السيدة ستاركويذر (تبكي بحرقة)**:** أنتوني! إنهنَّ يُجردنها من ملابسها!

(تكافح ليندا مجدَّدًا للتخلص من قبضة تشالمرز.)

(يدعو ستاركويذر روتلاند لمساعدته ويَرفعان الستار ثانية، ثم وبعد تفكير يسحبانه أبعد قليلًا عن مارجريت.)

مارجريت: لا! توقفوا!

(تظهر مُدبِّرة المنزل منتصرة وتحمل بيدها مظروفًا وتناوله لهوبارد.)

هوبارد (على الفور)**:** ليس هذا ما نبحث عنه.

(يتطلَّع إلى العنوان الموجود على الظرف ويباشر.)

إنه موجه لنوكس.
ستاركويذر: مزِّعه. واقرأه.

(يفتح هوبارد المظروف.)

(بينما يَجري ذلك، يتوقف الصراع خلف الستار.)

هوبارد (يَسحب محتويات المظروف للخارج)**:** إنها فقط صورة للسيدة تشالمرز. (يقرأ.) من أجل المستقبل ... مارجريت.
تشالمرز (يَدفع ليندا عائدة نحو يمين المقدمة ويسير بخطواتٍ واسعة نحو هوبارد)**:** أعطني اياها.

(يُعطيه هوبارد الصورة، فينظر فيها ثم يعصرها في يده ويسحقها تحت قدمه.)

ستاركويذر: ليس هذا ما نبحث عنه يا سيدة ميدلتون. استمري في تفتيشها.

(يستمر التفتيش خلف الستار دون أي مقاومة.)

(صمت، خلاله يهتز الستار من حين لآخر حين يجرِّد المفتشون مارجريت من ملابسها.)

مدبرة المنزل (تظهر من زاوية الستار)**:** لا أجد أي شيئًا آخر يا سيدي.
ستاركويذر: هل نزعتم ملابسها؟
مدبرة المنزل: نعم سيدي.
ستاركويذر: عارية تمامًا؟
مدبرة المنزل (تختفي خلف الستار وتغيب لبرهة بدلًا من أن ترد، خلال تلك البرهة تتأكد من أنها عارية بالكامل ثم تعاود الظهور.)**:** نعم سيدي.
ستاركويذر: ولم تجدي شيئًا؟
مدبرة المنزل: لا شيء.
ستاركويذر: ألقوا بملابسها خارج الستار ... كل شيء.

(تُلقى كتلة مختلطة من الملابس النسائية من خلف الستار وتسقط بالقرب من قدم دوبلمان الذي يَرتبك ويشعر بالخجل والإحراج الشديد.)

(يتفقَّد تشالمرز الملابس ثم يخطو إلى خلف الستار للحظة ثم يعاود الظهور.)

تشالمرز: لا شيء معها.

(يتطلَّع تشالمرز وستاركويذر وهوبارد بعضهم إلى البعض في ذهول.)

(تخرج الخادمتان من خلف الستار وتَقفان بالقرب من الباب إلى جهة يَمين المؤخَّر.)

(يأبى ستاركويذر أن يُصدِّق، فيخطو نحو ملابس مارجريت ويتفقدَّها بنفسه.)

ستاركويذر (مخاطبًا تشالمرز ويَنظُر نحو الستار مُستفسِرًا)**:** هل أنت متأكد؟
تشالمرز: نعم؛ لقد تحقَّقت. ليست بحوزتها.
ستاركويذر (مخاطبًا مدبرة المنزل)**:** فتشي الخادمات يا سيدة ميدلتون.
مدبرة المنزل (تمرِّر يديها فوق ملابس الخادمات)**:** ليس بحوزتهنَّ شيء يا سيدي.

مارجريت (من خلف الستار، بصوتٍ خافت وواهن)**:** هل يُمكنني ارتداء ملابسي الآن؟

(لا أحد يرد عليها.)

الجو ... بارد جدًّا.

(لا أحد يرد.)

هلا سمحتَ للِيندا أن تأتي لي، من فضلك؟

(يومئ ستاركويذر بوحشية إلى ليندا لتَذهب إلى مارجريت.)

(تعبر ليندا المسرح نحو الملابس وتجمعها ثم تختفي خلف الستار.)

ستاركويذر (مخاطبًا مدبرة المنزل)**:** يُمكنكِ الانصراف الآن.

(تخرج مدبرة المنزل والخادمتان.)

دوبلمان (مُترددًا بعد إغلاق الباب خلف الخادمات)**:** هل أوصده؟

(لا يجيبه ستاركويذر بشيء، فيترك دوبلمان الباب دون إيصاده.)

كوني (تنهض)**:** هل يُمكن أن آخذ أمي وأذهب الآن؟

(يومئ لها ستاركويذر بالموافقة وهو شارد الذهن.)

(تُساعد كوني السيدة ستاركويذر للوقوف على قدمَيها.)

السيدة ستاركويذر (تترنَّح من الضعف وتسقط ثانية في مقعدها)**:** دعيني أرتاح لحظة يا كوني. سأكون أفضل حالًا. (تخاطب ستاركويذر الذي لم يُعرها اهتمامًا.) أنتوني، سأذهب للفراش مباشرة. ما حدث كان فوق طاقتي. سيُصيبني المرض. لن ألحق بذلك القطار اليوم أبدًا.

(ترتجف وتتنهد، وتُميل رأسها إلى الخلف وتغلق عينَيها، وكوني تهوِّي عليها وتُشمِّمها أملاح الشمِّ.)

تشالمرز (مخاطبًا هوبارد)**:** ما العمل الآن؟

هوبارد (يهزُّ كتفيه)**:** أنا عاجز تمامًا عن التفكير بوضوح. كنتُ قد تركتُ الخطابات بحوزته، مباشرة عندما دخلت السيدة تشالمرز الغرفة. ما الذي حلَّ بالأوراق؟ ليست بحوزتها، هذا أمرٌ مؤكد.

تشالمرز: لكن لماذا؟ لماذا أخذَتها من البداية؟

هوبارد (بنبرةٍ جافة، يُشير إلى الصورة المجعدة على الأرض)**:** الأمر واضح لي تمامًا.

تشالمرز: أتظن ذلك؟ هل تعتقد ذلك؟

هوبارد: أخبرتكم بما رأيت الليلة الماضية في حُجرته. لا يوجد تفسير آخر للأمر.

تشالمرز (بغضب)**:** هذا هو أسلوبه بالفعل ... يتباهى بتفوُّقه الأخلاقي ... ويُردِّد عبارات عن السرقة ... سرقة قمنا بها نحن ... بينما كان هو أكبر لص، يَسرق أعز الأشياء وأقدسها ...

(تظهر مارجريت من خلف الستار وهي تُثبت قبَّعتها. ارتدت ملابسها لكنها في حالة من الفوضى إلى حدٍّ ما، وليندا تتبعها تُعدِّل ملابسها من هنا ومن هناك وترتبها. تتوقف مارجريت قرب روتلاند، لكن لا يبدو عليها أنها تحسُّ بوجوده.)

روتلاند (بتأسُّف ورثاء)**:** إنه لحدثٌ مُحزن ... احم ... حدثٌ محزن. أنا حزين، حزين جدًّا. لا أستطيع أن أصف لكِ يا سيدة تشالمرز مقدار حزني أن أُجْبَر على الوجود في هذا ... احم ... هذا الأمر المؤسف ...

(باغتته مارجريت بنظرة ازدراء جعلتْه يَصمُت مُحرَجًا.)

مارجريت: بعدما حدث هذا يا أبي، ثمة شيءٌ واحد فقط ...

تشالمرز (مقاطعًا لها)**:** تذهبين لعَشيقك على ما أعتقد.

مارجريت (ببرود)**:** فلتفهَمْها على هذا النحو إن شئت.

تشالمرز: وتأخُذين له ما سرقتِه ...

ستاركويذر (يرتدُّ فجأة عن شروده)**:** لكنَّها لم تكن تحملها بحوزتها. ولم تخرج من الغرفة. والوثائق ليست بالغرفة. أين هي إذن؟

(خلال ما يحدث بعد ذلك، تذهب مارجريت إلى الباب الذي فتحه دوبلمان. تدفع ليندا للخروج أمامها ثم تتوقَّف هي لبرهة أمام الباب المفتوح لتتسمَّع.)

هوبارد (يطلق صرخة من فكرة أنارت في رأسه ويذهب مسرعًا عبر المسرح إلى النافذة التي على اليسار ويرفعها)**:** ليست موصدة. وتتحرَّك بلا صوت. هذا هو التفسير لما حدث.

(مخاطبًا ستاركويذر)

بينما كنت أنت عند الخزانة وظهرك للغرفة، رفعت هي النافذة وألقت الأوراق إلى شخص ما يَنتظِر بالخارج ...

(يُخرج رأسه وكتفَيه من النافذة وينظر للأسفل، ثم يعيد إدخال رأسه وكتفَيه.)

لا؛ ليسَت بالأسفل. كان أحدهم بالانتظار.

ستاركويذر: لكن كيف عرفتْ أنها معي؟ كنت قد استعدتُها للتو!

هوبارد: ألم يَعرف نوكس على الفور أنني أخذتها من غرفته؟ لقد ركبتُ المصعد الصاعد بدلًا من الهابط عندما سمعتُه يَركض في الردهة. بالتأكيد أخبرها بما حدث. كانت هي الشخص الوحيد الذي يستطيع استعادتها من أجله. وإلا لماذا جاءت هنا مسرعة هذا الصباح؟ بالطبع لتسرق رزمة الورق. كان معها أحد يَنتظر بالخارج. ألقت بها في الخارج وأغلقت النافذة ...

(يُغلق النافذة)

هل تُلاحظ أن النافذة لا تُحدث أي صوت. ثم جلست ثانية. كل ذلك بينما كنت تُدير ظهرك للغرفة.

ستاركويذر: مارجريت. هل هذا صحيح؟

مارجريت (بحماس)**:** نعم، النافذة. لماذا لم يَخطر لك ذلك من قبلُ؟ هي النافذة بالطبع. كان ... كان أحدهم ينتظر. لقد ابتعدَت الأوراق الآن ... لمسافاتٍ شاسعة. لن تحصل عليها أبدًا. إنها بين يديه الآن. وسوف يستخدمها في خطابه. (تضحك على نحو هستيري.)

(ثم تُغيِّر صوتها فجأة من السخرية إلى الوداعة الزائفة، يشوبها تحدٍّ واستخفاف.)

هل لي أن أرحل ... الآن؟

(لا يُجيبها أحد، وتخرج هي من المكان.)

(صمت يسود لحظات، ينظر خلالها ستاركويذر وتشالمرز وهوبارد بعضهم إلى البعض في ذهول.)

(يسدل الستار.)

الفصل الرابع

المنظر: نفس مكان الفصل الأول. الساعة الواحدة والنصف من نفس اليوم.

(يُرفع الستار ويكشف عن نوكس يجلس منتظرًا على يمين المقدمة. وضعه ينمُّ أنه مهموم.)

(تدخل مارجريت من يمين المؤخَّرة وتتقدم نحوه. ينهض مرتبكًا ويصافح يدها. هي هادئة جدًّا ورابطة الجأش.)

مارجريت: كنت أعلم أنكَ ستأتي. من الغريب أنني اضطررتُ للإرسال إليك بعد الليلة الماضية بوقت قصير ...

(ثم بانتباه وتغيير لأسلوب حديثها فجأة.)

ما بك؟ أنت مريض. يدك باردة.

(تضع يده بين كلتا يدَيها لتدفئها.)

نوكس: هكذا أنا، إما شعلة متقدة وإما صقيع متجمد.

(مبتسمًا)

وأفضِّل حالة التوقد.
مارجريت (تُدرك أنها تضع يده بين يديها)**:** اجلس وقل لي ما الأمر.

(تقودُه من يده وتُجلسه، وتجلس هي أيضًا في الوقت نفسه.)

نوكس (على عجل)**:** بعد أن غادرتِ أمس؛ سرق هوبارد المستندات.

مارجريت (بنبرة تنم عن الثقة)**:** نعم؛ كان في غرفة نومك عندما كنتُ عندك.

نوكس (متعجِّبًا)**:** كيف عرفتِ ذلك؟ على أي حال لم يعرف من تكونين.

مارجريت: أوه، بل عرف من أكون.

نوكس (بغضب)**:** هل تجرَّأ …؟

مارجريت: نعم؛ قبل أقل من ساعتَين. أعلن الأمر أمام أبي وأمي وكوني والخدم والجميع.

نوكس (يَنهض على قدمَيه ويبدأ في المشي جيئة وذهابًا وهو مرتبك)**:** الخسيس اللئيم!

مارجريت (بهدوء)**:** أنا واثقة أني قلتُ له ذلك بين صفاتٍ أخرى.

(تضحك متهكِّمة)

أوه، أؤكد لك أنها كانت حفلةً عائليةً رائعة. قالت أمي إنها لا تُصدِّق ذلك … لكن كلامها كان مجرَّد هستيريا. بالطبع صدقت الأمر … وظنَّت الأسوأ. وكذلك فعلت كوني والجميع.

نوكس (يتوقَّف فجأة وينظر إليها مرعوبًا)**:** بالتأكيد أنتِ لا تعنين أنهم اتهموكِ بـ …؟

مارجريت: لا؛ لا أعني ذلك. بل أعني أكثر منه. هم لم يتَّهموني. بل تقبَّلوا أمر أني مذنبة كحقيقةٍ مؤكَّدة. وأنك … عشيقي.

نوكس: كل ذلك بناءً على شهادة هذا الشخص؟

مارجريت: كان معه شاهدان في غرفةٍ مجاورة لغرفتك.

نوكس (بارتياح)**:** هذا أفضل. فهم لا يَملكون سوى الشهادة بالحقيقة، والحقيقة ليسَت بالخطب الجلل. في حالتنا هذا أفضل، لأننا هجَرنا بعضنا البعض.

مارجريت: أنت لا تعرف هؤلاء الرجال. من السَّهل تخمين أنهم مُدرَّبون جيدًا على هذه الأمور، وسوف يُقسمون على أي شيء.

(تضحك بمرارة)

إنهم رجال والدي كما تعرف، شرطته السرية.

نوكس (يَنهار في كرسيه ويمسك رأسه بين يديه ويئن)**:** لا بد أنكِ عانيت كثيرًا. يا له من وقت عصيب، يا لسوء التوقيت! يمكنني تخيل الأمر ورؤيته ماثلًا أمام عيني … يقولها

أمام الجميع … أحبائك وأعزائك. لم أستطع أن أفهم لماذا استدعيتني اليوم بعد أن افترقنا بالأمس. لكنَّني الآن عرفت.

مارجريت: لا، أنت لا تعرف على الإطلاق.

نوكس (يتجاهَلُها ويبدأ ثانية في التحرك جيئة وذهابًا وهو يفكِّر بسرعة)**:** ما الفرق؟ لقد تحطمتُ على الصعيد السياسي. وخطتهم نجحت بشكلٍ فعال للغاية. لقد حذَّرني جيفورد، وأنتِ حذرتِني وكذلك الجميع. لكنَّني كنت أحمق، كنت أعمى بحماقتي. لم يبقَ لي شيء سواكِ الآن.

(يتوقَّف ويشعُّ في وجهه ضوء خاطرةٍ جديدة.)

تعلمين يا مارجريت، إنني أشكر القدر على ما آلت إليه الأمور. ماذا لو دمَّرُوا نفعي للناس؟ سيكون بالتأكيد رجالٌ آخرون … قادة آخرون. لعلي ما فعلت سوى أن أفسحت الطريق لآخر. فقضية الشعب لا يُمكن أن تضيع أبدًا. ورغم أنني استُبعدت من القتال، فإنني انسقتُ نحوك. لقد انسقنا نحو بعضنا. إنه القدر. وأنا أشكر القدر على ذلك ثانية.

(يَقترب منها ويحاول احتضانها بين ذراعَيه، لكنها تتراجع.)

مارجريت (تَبتسم بحزن)**:** آه، الآن أنت في حالة التوقُّد. لقد انعكست الأوضاع. بالأمس كنتُ أنا المتَّقدة. نحن محظوظان لأننا نختار أوقاتًا مختلفة من أجل حالاتنا المزاجية … وإلا لما آل الأمر إلا إلى كارثةٍ حلوة رقيقةٍ مجنونة.

نوكس: لكن ليس الأمر وكأنَّنا فعلنا ذلك عمدًا وبأنانية. لقد انصرفنا عنه. كافحنا ضده حتى انهزمنا. والآن نحن منساقان تجاه بعضنا البعض، ليس بيدنا لكن بيد أقدارنا. بعد ما حدث هذا الصباح لم يعد أمامك سوى المجيء إليَّ. أما بالنسبة لي، فبرغم أني بذلت أفضل ما بوسعي، فإنني انتهيت. لم أفلح. وكما قلت لكِ، فقد سُرقَت الأوراق. ولن يكون ثمة خطاب ظهر اليوم.

مارجريت (بهدوء)**:** بل سيكون ثمة خطاب.

نوكس: مُستحيل. سأجعل من نفسي أُضحوكةً مضاعفة. لن أكون قادرًا على إثبات اتهاماتي لهم.

مارجريت: سوف تُثبت اتهاماتك لهم. يا لها من سلسلة سرقات! أبي يَسرق من الشعب. والوثائق التي تثبت سرقاته جاءت مسروقة على يد جيرست. ثم سرقها هوبارد منك وأعادها إلى والدي. ثم في النهاية أسرقها أنا من أبي وأعيدها إليك.

نوكس (مشدوهًا)**:** أنتِ؟ أنتِ؟

مارجريت: نعم؛ صباح اليوم تحديدًا. كانت تلك هي ذريعة المشاكل التي وقعت. لو لم أسرقها لما وقع شيء. أخذتُها بعد أن كان هوبارد قد أعادها لأبي لتوه.

نوكس (متأثرًا بشدة)**:** وأنتِ فعلتِ هذا من أجلي ...؟

مارجريت: عزيزي، لم أفعلها من أجلك. فلم تكن لديَّ الجرأة الكافية لذلك. كان ينبغي أن أستسلم. لا مانع من أن أعترف أنني بدأت الأمر من أجلك، لكن سرعان ما بلغ الأمر غاية في السوء حتى ارتعت. لقد زاد سوء الأمر لدرجة أنني لو كنت سأفعلها من أجلك فقط لكنت قد استسلمت وسلَّمتها لهم. لكن بين كل ذلك الرعب رأيت الأمر من زاويةٍ أوسع، وكل ما قلتَه أنت ليلة أمس أصبح ماثلًا أمام عينيَّ. كنت أعلم أنك على حق. فكرت في كل الناس، وفي الأطفال الصغار. لقد فعلتُها من أجلهم في نهاية المطاف. أنت تتحدث باسمهم. وأنا سرقت الوثائق حتى تتمكَّن من استخدامها للحديث باسم الناس ومن أجلهم. هل رأيت الحقيقة يا عزيزي؟

(تتحوَّل إلى تذكُّر ما جرى غاضبة.) هل تعلم ما كلفتني إياه؟ أتعلم ما جرى لي اليوم، في هذا الصباح، في بيت والدي؟ لقد عانَيتُ الخزي والإذلال بما لم أحلم أبدًا أنه مُمكن. هل تعلم ما فعلوه بي؟ لقد استدعوا الخدم وجردوني من ملابسي أمام الجميع؛ أسرتي وهوبارد والسيد روتلاند الموقَّر والسكرتير، الجميع.

نوكس (مصدومًا)**:** جردوكِ ... أنتِ؟

مارجريت: تمامًا. أَمَرَ والدي بذلك.

نوكس (فجأة كأنه يتصوَّر المشهد)**:** يا إلهي!

مارجريت (تستعيد رباطة جأشها وتتكلَّم بسخرية، وتضحك على شكل الصدمة على وجهه)**:** لا؛ ليس بهذا السوء. قد كان هناك ستار.

(يبدو على وجه نوكس بعض الارتياح)

لكنه سقط وسط الصراع.

نوكس: لكن بحق السماء لماذا فعلوا ذلك بكِ؟

مارجريت: بحثًا عن الخطابات المفقودة. كانوا يعرفون أني أخذتها.

(تتحدَّث بجدية)

لقد استحققتُ هذه الأوراق كما ترى. كما استحققتُ أن أقرر ما يجب فعله بها. سأعطيها لك، وأنت ستستخدمها في خطابك هذا المساء.

نوكس: لا أريدها.

مارجريت (تذهب إلى الجرس وتدقه)**:** بالتأكيد تُريدها. إنها الآن أكثر قيمة من أي شيءٍ آخر في العالم.

نوكس (يهزُّ رأسه)**:** أتمنَّى لو أن ذلك لم يحدث.

مارجريت (تعود إليه، تقف بجوار مقعده، وتُداعب شعره)**:** ماذا تعني؟

نوكس: أقصد استعادتك للخطابات هذا الصباح. كنتُ قد هيأت نفسي إلى أنني فقدتها، وأنني خسرت القتال. وأنني وجدتكِ ... أنتِ ...

(يرفع يده ويُمسك بيدها ويَسحبها نحوه ويُقبِّلها)

لذا ... ردِّيها إلى والدك.

(تَبتعِد مارجريت عنه بسرعة)

(يدخل خادم من يمين مؤخَّر الغرفة.)

مارجريت: أرسل لي ليندا.

(يخرج الخادم.)

نوكس: ماذا تفعلين؟

مارجريت (وهي تجلس)**:** سأرسل ليندا لإحضارها. إنها لا تزال في منزل والدي. خبأتها — من بين كل الأماكن — خلف صورة لينكولن. سيَحفظُها في أمان ... أثق في ذلك.

نوكس (باتقاد)**:** مارجريت! مارجريت! لا تُرسلي في طلبها. دعيها تَضيع. لا أريدها.

(ينهض ويتجه نحوها باندفاع.)

(تنهض مارجريت وتتراجَع وتبتعد عنه.)

أنا أريدكِ أنتِ ... أنتِ وحدكِ.

(يمسك بيدها ويقبِّلها. تنزع يدها منه، لكن برفق.)

مارجريت (ما زالت تتراجَع عنه بمكر ورقة)**:** عزيزي، رجلي العزيز، أعشق أن أراك على هذا الحال. لكن هذا ليس ممكنًا.

(تَنظر بقلق نحو الباب الأيمن لمؤخَّر الغرفة.)

لا، لا، أرجوك، اجلس أرجوك.

(تدخل ليندا من يمين مؤخر المسرح وهي ترتدي ملابس الخروج.)

مارجريت (متفاجئة)**:** إلى أين ستذهبين؟

ليندا: كنت أنا وتومي والمربية في طريقنا إلى وسط المدينة. هي تريد تسوق بعض الأشياء.

مارجريت: حسن جدًّا. لكن أولًا اذهبي إلى منزل أبي. أنصتي لي بانتباه. في المكتبة، خلف صورة لينكولن ... أتعرفينها؟ (تومئ ليندا برأسها.)

ستجدين حزمة من الأوراق. لقد استغرق الأمر خمس ثوانٍ لأضعها هناك، ولن يتطلب الأمر منك أكثر من ذلك لتَحصُلي عليها. لا تدعي أحدًا يراكِ. اجعلي الأمر يبدو وكأنك تأخذين تومي ليرى جدته ويُدخِل عليها البهجة. تعرفين أنها ليست على ما يرام في الوقت الراهن. بعد أن تحصلي على الأوراق، اتركي تومي هناك واجلبي الأوراق لي فورًا. قفي على مقعد واصعدي إلى حافة خزانة الكتب ومدِّي يدك خلف الصورة. ينبغي أن تعودي في غضون خمس عشرة دقيقة. خذي السيارة واذهبي.

ليندا: تومي والمربية موجودان بالفعل في السيارة الآن يَنتظرانني.

مارجريت: كوني حذرة. وأسرعي.

(تومئ ليندا لكلِّ التعليمات وهي تتلقَّاها وتخرج.)

نوكس (يَنفجِر بعاطفة حماسية)**:** هذا جنون. أنت تُضحِّين بنفسك وبي. أنا لا أريد الأوراق. أنا أريدكِ أنتِ. لقد تعبت. ما هي قيمة أي شيء سوى الحب؟ لقد اتبعتُ القيم والمُثل بما يكفي. والآن أريدك أنتِ.

مارجريت (بتجهُّم)**:** آه، ها أنت قد عبرت عن لب الموضوع. الآن ستتخلَّى عن المثل العليا من أجلي ... (يحاول أن يقاطعها.) لا، لا؛ ليس الأمر أنني بمنزلة أقل مِن المُثُل. أنا لا أحمل تفاخرًا ساذجًا بهذا الشكل. لكني أريدك أن تظل على مُثُلك، ولن يكون ذلك إلا

بالمضي قدمًا ... وليس بأن تولِّي عقبَيك. يمكن لأي شخص أن يلعب دور الجبان ويؤكد أنه قد أصابه التعب. ما كنت أنا لأحبَّ جبانًا. اعلم أن قوتك هي التي أنقذتنا ليلة أمس. وما كنت لأحبَّك كمثل ما أحبك الآن لو أنك كنت ضعيفًا ليلة أمس. بإمكانك أن تحافظ على حبي فقط ...

نوكس (يقاطعها بمرارة)**:** بأن أتنازل عنه ... في سبيل المُثُل العليا. مارجريت، ما هو أكبر شيء في العالم؟ إنه الحب. إنه أعظم المثُل العليا.

مارجريت (بعبث ومرح)**:** حب الرجل والمرأة؟

نوكس: وماذا غير ذلك؟

مارجريت (بجدية)**:** هناك شيءٌ أعظم من ذلك؛ حبُّ الإنسان لأخيه الإنسان.

نوكس: أوه، انظري كيف تردِّين عليَّ عظاتي. إنه درس أتعلمه. لن أعظ الناس ثانية. ومن الآن فصاعدًا ...

مارجريت: نعم.

(يدخل تشالمرز من اليسار دون أن يُلاحظه أحد ويقف صامتًا يتطلع إليهما.)

نوكس: من الآن فصاعدًا أنا واقع في الحب. اسمعي.

مارجريت: أنت جيَّاش العواطف. سيمرُّ الأمر وسترى سبيلَك أمامك مباشرة، وستعلم أنَّني على صواب. لا يُمكنك أن تفر من القتال.

نوكس: بل يُمكنني ... وسأفعل. أنا أريدكِ وأنت تريدينَني؛ حاجة الرجل والمرأة بعضهما إلى بعض. هيا، تعالي معي ... الآن. لنَنتزع سعادتنا بينما نحن قادرون.

(يقف ويقترب منها ويأخذ يدها في يده. تُصبح أكثر انصياعًا ولطفًا، وبدلًا من أن تصدَّه، تصبح مستعدة للاستماع له والاجتماع إليه.)

كما قلت لكِ، سيستمر القتال بنفس الطريقة. سيكون هناك عشرات الرجال، رجالٌ أفضل وأقوى مني، سيَرتقُون ليحلُّوا مكاني. لماذا أتكلم بهذه الطريقة؟ لأني أحبك وأحبك وأحبك. ولا وجود لشيءٍ آخر في هذا العالم سوى حبك.

مارجريت (تذوب وترتجف)**:** آه، أنت مشتعل، متَّقد.

(يُطلق تشالمرز صرخة غضب غير واضحة ويندفع نحو نوكس.)

(مارجريت ونوكس يجفلان من صرخته ويكتشفان وجوده.)

مارجريت (تُواجه تشالمرز وتدفعه للخلف قليلًا بعيدًا عن نوكس، وتظلُّ متشبِّثة به لتصدَّه عن نوكس)**:** لا يا توم، بدون عاطفيةٍ مُفرطة من فضلك. انفعالك هذا مجرَّد رد فعلٍ تلقائي وتقليدي. أنت في الحقيقة لا تقصد ذلك. أنت لا تشعر به حتى. أنت تفعل ذلك لأنه المتوقَّع منك ولأنه ما تدربتَ عليه. أضف إلى ذلك أن هذا الانفعال خطر على قلبك. تذكر تحذير الدكتور ويست …

(يبذل تشالمرز جهدًا عنيفًا فوق العادة ليصل إلى نوكس فيترنَّح فجأة للخلف في ضعف وعلى وجهه علامات الألم وتتشنَّج يده على صدره. تُمسك به مارجريت وتسنده إلى كرسي ينهار فيه.)

تشالمرز (يتمتم بضعف)**:** قلبي! قلبي!

نوكس (يقترب منهما)**:** هل يُمكنني فعل أي شيء للمساعدة؟

مارجريت (بهدوء)**:** لا؛ كل شيء على ما يرام. سرعان ما سيتحسن.

(تَنحني فوق تشالمرز ويدها على معصمه، وفجأة — كعلامة على تعافيه — يدفع يدها بعيدًا بعنف ويقف مُنتصبًا.)

نوكس (بتردُّد)**:** سأذهب الآن.

مارجريت: لا. ستنتظر حتى تعود ليندا. بجانب أنه لا يُمكنك الهروب وتركي أواجه الأمر وحدي.

نوكس (متألِّمًا من كلامها، ويُبدي لها أنه سيبقى)**:** أنا لستُ جبانًا.

تشالمرز (بصوتٍ مكبوت يزداد قوة تدريجيًّا)**:** نعم؛ انتظر. أريد أن أقول لك شيئًا.

(يتوقف للحظة، وعندما يتكلم مرةً أخرى يكون صوته على ما يرام.)

(بازدراء) يا لك من مثالٍ لطيف على المُصلح الاجتماعي. أنتَ يا من كنت تتشدق بالأمس بالحديث عن السرقة. علي بابا الأرقى صلاحًا وصوابًا ونُبلًا، الذي دخل إلى وكر اللصوص، والذي هو أيضًا لص.

(يقلِّد مارجريت)

آه، أنتَ مُشتعل، متَّقد.

(ثم بصوته الطبيعي)

يجب أن أدعوكَ باللص. أيها اللص. يا سارق الزوجات.

مارجريت (ببرود)**:** بالكاد أُسمِّيها سرقة.

تشالمرز (بسخرية)**:** نعم؛ نسيت. تَقصدين أنها لا تُعتبَر سرقة لأنه أخذ ما يخصه بالفعل.

مارجريت: ليس هكذا بالضبط ... لكنه أخذ ما عُرض عليه طواعية.

تشالمرز: تَقصدين أنكِ نسيتِ أنك امرأة بحيث تعرضين ...

مارجريت: تمامًا. في الليلة الماضية. وقد أبدى السيد نوكس احترامًا لي بأن أبى.

نوكس (مندفعًا)**:** أترين، لم يتبقَّ شيء آخر يا مارجريت.

تشالمرز (ساخرًا)**:** آه، مارجريت.

نوكس (متجاهلًا إياه)**:** الوضع لا يطاق.

تشالمرز (مؤكدًا)**:** هو كذلك فعلًا. ألا تَعتقد أن من الأفضل أن تغادر هذا المنزل؟ إن كل لحظة من وجودك فيه تصمه بالعار.

مارجريت: لا تتحدَّث عن الشرف يا توم.

تشالمرز: أنا لا ألتمس لنفسي عذرًا. وأتخيَّل أنني لم أخدعك بهذا الشكل الكبير. لكن على الأقل لم أستعمل منزلي الخاص في مثل هذه الأغراض.

نوكس (يثب نحوه)**:** أيها الجبان الخسيس!

مارجريت (تتدخل وتمنعه)**:** لا؛ توقَّف. قلبه مريض.

تشالمرز (مقلدًا مارجريت)**:** بدون عاطفية زائدة من فضلك.

مارجريت (بحزن تَنقُل نظراتها بين الرجلين)**:** إن خلقة الرجال عجيبة وغريبة. ماذا أفعل معكما؟ لماذا لا تتفاهمان مع بعضكما مثلما يفعل المُتعقِّلون من البشر؟

تشالمرز (يَضحك بمرارة ويقف على قدمَيه)**:** أجل؛ لنتفاهم معًا. لنتعقَّل. لنجلس ونتحاور كالمتحضِّرين من البشر. نحن لسنا في العصر الحجري. اطمئنَّ يا سيد نوكس. أنا لن أسحق جمجمتك. مارجريت ...

(يشير إلى كرسي)

اجلس يا سيد نوكس ...

(يشير إلى كرسي)

اجلسي.

(يجلس الثلاثة في مثلث.)

تشالمرز: أمعنوا النظر في المشكلة — المثلَّث القديم والجديد أبدًا للكاتب المسرحي وكاتب القصص القصيرة — رجلان يتنازعان على حب امرأةٍ واحدة.

نوكس: هذا صحيح، ومع ذلك فهو غير حقيقي. المثلث غير مُكتمل. فرجلٌ واحد فقط من بين الاثنين هو من يحبُّ المرأة.

تشالمرز: حقًّا؟

نوكس: وأنا ذاك الرجل.

تشالمرز: أظنُّك على حق.

(يومئ برأسه.)

لكن ماذا عن المرأة؟

مارجريت: هي تحبُّ أحد الرجلين.

نوكس: وماذا ستَفعلين حيال ذلك؟

تشالمرز (بتعقُّل)**:** هي لم تُحدِّد ذلك الرجل بعدُ.

(مارجريت على وشك أن تشير إلى نوكس.)

احذري يا مادج. تذكَّري من هو والد تومي.

مارجريت: توم، صدقًا، حين تتذكر كيف كانت السنوات الماضية بيننا، هل تتخيَّل أنني أحبك؟

تشالمرز: أخشى أنني لم ... لم أكن مُتوقِّدًا بما فيه الكفاية.

مارجريت: على الأرجح أنك نطقتَ بما هو أقرب إلى الحقيقة بأكثر مما تتخيَّل. لقد تزوجتك يا توم على أمل أن تقوم بأشياء عظيمة. كنت آمل أن تكون قوةً كبيرة من أجل الخير ...

تشالمرز: تتحدثين عن السياسة مرةً أخرى. متى ستتعلَّم النساء أن عليهن ترك السياسة وشأنها؟

مارجريت: وتمنَّيتُ أيضًا أن أجد الحب. أعلم أنك لم تكن تحبُّني عندما تزوَّجنا، لكني تمنيت أن ينشأ بيننا ذلك الحب.

تشالمرز: وهل لي أن ... أن أسألك إن كنتِ قد أحببتِني يا مارجريت؟

مارجريت: لا؛ ولكني أمَّلتُ أن يقع حبُّك في قلبي أيضًا.

تشالمرز: إذن، كان الأمر برمته خطأً.

مارجريت: نعم، خطأكَ وخطئي وخطأ أبي.

نوكس: لقد جلَسنا لنتفاهم ولم نصل إلى شيء. أنا ومارجريت يحبُّ كلٌّ منَّا الآخر. هنا يختلُّ مثلَّثك.

تشالمرز: إنه ليس بمثلَّث على أيِّ حال. أنت نسيت تومي.

نوكس (بحدة)**:** لنَجعله مربَّعًا إذن، لكن دعنا نصل إلى خاتمة.

تشالمرز (مُتأملًا)**:** آه، الأمر يفوق ذلك. هناك ضلعٌ خامس. هناك الرسائل المَسروقة التي سرقتها مادج ثانية هذا الصباح من والدها. مهما كانت التسوية التي سنصل إليها، لا بد أن تتضمن هذه الرسائل.

(مُغيرًا نبرة صوته)

اسمعي يا مادج، أنا أحمق. لكن دعينا نتحدث بعقلانية، أنتِ ونوكس وأنا. أنت تريد زوجتي يا نوكس. يمكنك أن تحصل عليها في ظلِّ أحد الاعتبارات. وأنتِ يا مادج تريدين نوكس. يمكنك أن تحصلي عليه في ظل أحد الاعتبارات، وهو الاعتبار نفسه في كلتا الحالتين. سلِّمونا الخطابات وسنَنسى كل شيء.

مارجريت: كل شيء؟

تشالمرز: كل شيء. سنَغفِر وسنَنسى أيضًا.

مارجريت: سوف تغفر لي هذه ... هذه ... الخيانة؟

تشالمرز (بإصرار)**:** سأغفر أي شيء مقابل الخطابات. لقد عاملتكِ باستخفاف يا مادج، وأظنُّ أن اتباعك للأسلوب نفسه يُسوِّي الأمور ليس إلا. أعيدي الخطابات ويمكنك الذهاب مع نوكس بهدوء. سأحرص على ذلك. لن يكون ثمة رائحة لفضيحة. سأُطلِّقك. أو تستطيعين البقاء على ذمتي إذا شئتِ. لا آبَه. كل ما أريده هو الخطابات. هل تُوافِقين على ذلك؟

(يبدو على مارجريت التردُّد.)

نوكس (متضرعًا)**:** مارجريت.

مارجريت: وماذا عن تومي؟

تشالمرز (بحدة)**:** ألم أترك كلًّا منكما للآخر؟ ماذا تُريدين أكثر من ذلك؟ تومي سيظل معي. وإذا كنتِ تريدين تومي فسيتعين عليك إذن أن تبقي معي، ولكن يجب عليكِ أن تُسلِّمي الخطابات.

مارجريت: لن أذهب مع السيد نوكس. ولن أُسلِّم الخطابات. وسأبقى مع تومي.

تشالمرز: بقدر ما يعنيني الأمر، فإن أمر نوكس لا يعني قدرًا في هذا. أنا أريد تومي وأريد الخطابات. وإذا لم تتخلَّي عنهما لي طواعية فسأطلقك لأسبابٍ قانونية، وليس لأي امرأة طُلقت على هذه الخلفية أن تحتفظ بطفلها. سأحتفظ بتومي في جميع الأحوال.

مارجريت (تتحدث بنبرة راسخة وإيجابية): اسمع يا توم، وأنت أيضًا يا هوارد. أنا لم أفكِّر قط ولو للحظةٍ واحدة أن أتخلى عن الخطابات. قد أكون دفعتُك إلى اعتقاد ذلك، لكني فعلت ذلك فقط لأرى لأي مدًى من التدني يمكن أن تنحدر يا توم. وقد رأيت في هذا الصباح كيف انحدرتم جميعًا. لقد تعلمت الكثير. أين ذهب الشرف الرفيع يا توم والذي جعَلَك منذ لحظة فاتت في حالة من الغضب القاتل؟ ستُقايض كل هذا الشرف مقابل بضع قصاصات من الورق، وستَنسى وتتسامح مع الخيانة التي لم تقع …

(يضحك تشالمرز بتشكُّك.)

رغم أنني أعلم أنك لن تُصدِّقني في ذلك. على أي حال، أنا لن أتخلى عن الخطابات. حتى ولو أخذتَ مني تومي. لن أضحِّي بالناس جميعًا من أجل تومي. وكما قلتُ لك هذا الصباح، ثمَّة مليونان من تومي — كلهم واقعون في عمالة الأطفال، والذين لا يمكن التضحية بهم من أجل تومي أو في سبيل أي إنسانٍ آخر.

(يهزُّ تشالمرز كتفَيه ويبتسم في سخرية.)

نوكس: هناك مخرَج لنا بالتأكيد يا مارجريت من هذا الأمر. سلِّميهم الخطابات. ما قيمة هذه الخطابات؟ إنها مجرد قصاصات من الورق. لماذا تُقارنينها بالسعادة؛ بسعادتنا نحن؟

مارجريت: كما قلتَ لي بنفسك، تمثل هذه القصاصات السعادة لملايين الناس. وليسَت سعادتنا بالتي تُقارَن ببضع قصاصات من الورق. بل الأمر هو مقارنة سعادتنا في مقابل ملايين الناس الذين يُشبهوننا. كل هؤلاء الملايين يحبُّون ولهم قلوب ورغبات مثلنا تمامًا.

نوكس: لكنها عمليةٌ اجتماعية وكونيةٌ كبيرة. ولا تقوم أو تعتمد على رجلٍ واحد. ولو قُتل الآن وعلى الفور كل زعيمٍ شعبي، فإن هذه العملية ستستمرُّ دون تغيير. سيصبح الشعب فاعلًا بنفسه. وسيُطاح بالسَّرقة. إنه القدَر والمصير. وهذه هي السنَّة. ولا يمكن لشيء أن يوقفها.

مارجريت: لكن يمكن إعاقتها وتأخيرها.

نوكس: لسنا أنت وأنا سوى مجرد قشة مقارنة بها. لا يمكننا إيقافها بأكثر ما يمكن للقش أن يُوقف تيار المحيط. نحن لا نمثل أي قيمة في ذلك سوى بعضنا لبعض، ونحن نُمثل بعضنا لبعض العالم بأسره.

مارجريت (بحزن وحنو)**:** العالم كله والخلود مجتمعَين.

تشالمرز (يقطع عليهما حديثهما)**:** يا له من موقفٍ لطيف، أن أجلس هنا وأستمع إلى رجلٍ غريب يتودَّد إلى زوجتي بالشعارات العامية العلمية والاجتماعية!

(مارجريت ونوكس يتجاهلانه.)

نوكس: عزيزتي، أنا أرغب فيك بشدة.

مارجريت (بيأس)**:** أوه! لكم يَصعُب إتيان الصواب!

نوكس (بلهفة)**:** إنه يُريد الخطابات بشدة. أعطيها له مقابل تومي. هو سيتنازل عن تومي في مقابلها.

تشالمرز: لا، بالقطع لا. لو أرادت تومي فيمكنها البقاء؛ ولكن يجب أن تتخلَّى أولًا عن الخطابات. وإذا أرادتك أنت فيُمكنها الذهاب؛ لكن عليها أيضًا أن تتخلى عن الخطابات.

نوكس (يناشدها أن تتخذ قرارًا)**:** مارجريت.

مارجريت: هوارد. لا تُغوِني أو تضغط عليَّ. الأمر صعب بما فيه الكفاية.

تشالمرز (ينهض)**:** لقد اكتفيت من هذا الحديث. لا بد من تسوية الأمر، وسأتركه بين يدَيك يا نوكس. استمر في مطارحتك لها الحب. لكنَّني لن أبقى لأشهد ذلك. ربما كان وجودي ... يعوق ... عملية ... عملية الاشتعال. يجب أن تحسما أمركما أنتما الاثنان. أعتقد أنكما ستفعلان ذلك بصورةٍ أفضل في غيابي. سأذهب لأتناول شرابًا وأهدِّئ أعصابي. وسأعود بعد دقيقة.

(يتحرَّك نحو المخرج على اليمين.)

سترضخ يا نوكس. فقط كن ودودًا معها، تودَّد إليها.

(يتوقَّف في المدخل)

آه، أيها الشعلة! فلتتَّقد لسببٍ ما.

(يخرج تشالمرز.)

(يسند نوكس رأسه على كفِّه في يأس، ومارجريت تصمت وتنظر إليه بحزن لدقيقة، ثم تعبُر المسرح باتجاهه وتقف بجواره، وتداعب شعره.)

مارجريت: أعرف أنه أمرٌ صعب يا عزيزي. وهو صعب عليَّ أنا أيضًا.

نوكس: لا حاجة له بالمرة.

مارجريت: لا، إنه ضروري. إن ما قلته أنت ليلة أمس حين كنتُ ضعيفة كان من الحكمة والحصافة. لا يُمكننا أن نسرق من طفلي …

نوكس: لكن إذا تنازَلَ لك عن تومي؟

مارجريت (تهزُّ رأسها)**:** لا يُمكننا كذلك أن نسرق من أطفال أي امرأةٍ أخرى؛ من كل أطفال النساء. وأشياء أخرى سمعتك تقولها، وقد كنتَ محقًّا فيها. لا يُمكننا أن نعيش وحدنا. نحن مخلوقاتٌ اجتماعية. خيرنا وشرنا مقيَّد كله بالبشرية جمعاء.

نوكس (يمسك بيدها ويداعبها)**:** لا أفهمكِ. أسمع صوتكِ لكني لا أستوعب كلمة مما تقولين. لأني أحب صوتك … أحبك. أنا مملوء بالحب لدرجة أنه لا يوجد مكان لشيءٍ آخر بجواره. وأنتِ يا من كنتِ بالأمس بعيدة جدًّا وعصية المنال، أصبحتِ الآن قريبة المنال جدًّا، أقرب ما يكون. كل ما عليك فعله فقط هو أن تقولي كلمة، مجرَّد كلمةٍ واحدة. قوليها. … قوليها.

(يحمل يدها إلى شفتَيه ويبقيها عندهما.)

مارجريت (بأسًى)**:** لكم أرغب في ذلك! لشد ما أرغب في ذلك. لكن لا يمكنني قولها!

نوكس: يجب عليك.

مارجريت: هناك أشياء أخرى أعظم عليَّ أن ألتزم بها. هل نسيتها يا عزيزي؟ أشياء أنت قلتها لي بنفسك؛ الأشياء العظيمة التي تحزُّ في نفوسنا، التي هي أعظم مني ومنك، أعظم حتى من حبنا.

نوكس: قد نفدت منِّي الحُجَج … ولكني لا زلت أحبك.

مارجريت: وأنا أحبك من أجل ذلك.

(يدخل تشالمرز من جهة اليمين؛ ويرى مارجريت وهي لا تزال تداعب شعر نوكس.)

تشالمرز (بغبطةٍ خفيفة بها مسحة من السخرية)**:** آه، أرى أنكم أخذتم بنصيحتي وتوصَّلتم إلى قرار.

(لا يردَّان عليه. وتتحرَّك مارجريت بعيدًا ببطءٍ ثم تجلس.)

(يظل نوكس في مكانه ورأسه محنيٌّ على كفه.)

ألم تفعلا؟

(تهزُّ مارجريت رأسها.)

في واقع الأمر، لقد فكَّرتُ وغيَّرتُ شروطي. مادج، اذهبي مع نوكس وخُذي تومي معك.

(ترتعش مارجريت، لكن نوكس لا يراها حيث لا يزال رأسه محنيًّا على يده.)

تشالمرز: لن تكون ثمة فضيحة. سأمنحك طلاقًا لائقًا ويُمكنك أن تأخذي تومي.
نوكس (يرفع رأسه فجأةً، فَرِحًا ومتوسلًا)**:** مارجريت!

(مارجريت تترنَّح، لكنها لا تتكلم.)

تشالمرز: أنا وأنتِ يا مادج لم نكن قط منسجمين كثيرًا معًا، لكني لست سيئًا بالكامل. أنا شخص سهل المعشر. لطالَما كنت كذلك. وسأُسهِّل كل شيء عليكِ الآن. لكنكِ ترين المأزق الذي أنا فيه. أنت تحبِّين رجلًا آخر، وأنا بكل بساطة يجب أن أستردَّ تلك الأوراق. إنها أكثر أهمية مما تتخيَّلين.
مارجريت (بنبرة حادة)**:** أنت تجعلني أدرك مدى أهمية هذه الخطابات.
نوكس: أعطه الخطابات يا مارجريت.
تشالمرز: إذن هي لم تسلِّمها لك حتى الآن؟
مارجريت: لا؛ لا تزال بحوزتي.
نوكس: أعطها له.
تشالمرز: تبيع مبادئك لأجل امرأة. أنعم بك مِن مُصلحٍ اجتماعي!
نوكس (بتفاخُر)**:** وأنا أفضل كعشيق.
مارجريت (مخاطبة تشالمرز)**:** إنه ضعيف اليوم. وماذا في ذلك؟ قد كان قويًّا بالأمس. وسيَستردُّ قوته ثانية. من طبع البشر أن يكونوا ضعفاء. لكنَّني فخورة به حتى وهو في

أوج ضعفه الآن، لأن ضعفه هذا بسب الحب. ويعلم الله أنني كنت ضعيفة، ولا خجل لي في ذلك. فقد كان أيضًا بسبب الحب. فمن الشاقِّ على المرأة أن تخنق أنوثتها دائمًا بيد الأخلاق.

(وتستطرد بسرعة)

لكن، لا تخطئنَّ الفهم يا توم. فأخلاقي ليست نابعة من التقاليد. أنا لا أحفل بألسنة النميمة القذرة والصحف المُروِّجة للأخبار المثيرة؛ ولا أحفل أيضًا بما سيقوله أي إنسان، من بين كل من أعرفهم، عني إذا ما ذهبت مع السيد نوكس الآن. سأذهب معه، بل وأنا سعيدة وفخورة أيضًا، وسواء أكنت مطلَّقة أو غير مطلَّقة، أو بفضيحة أو بفضائحَ مضاعَفة ما دام ... ما دام أن أحدًا آخر لن يتأذَّى بما أفعله. (ثم مخاطبة نوكس): هوارد، أقول لك إنني كنت سأذهب معك الآن بكل طواعية وغبطة، وببهجة الربيع وكل أغاني الطيور المغردة تملأ قلبي ... لولا وجود آخرين. لكن هناك أمورًا معنوية وأخلاقية أسمى. ينبغي علينا ألَّا نؤذي هؤلاء الآخرين. ألا نتجرَّأ على سرقة سعادتنا منهم. المستقبل ملكهم، وعلينا ألا نضحي أو نتجرأ على التضحية بمستقبلهم أو نتنازل عنه مقابل سعادتنا الخاصة. لقد جئتك ليلة أمس. كنتُ ضعيفة ... نعم؛ وأكثر من ذلك، كنت لا أعلم. ولم أعلم حتى وقتٍ متأخر من الليلة الماضية بشناعة لؤم الظروف الراهنة وهولها التام. لكنني علمتُ ذلك اليومَ؛ هذا الصباح، وعلمته الآن. علمت أن أخلاق الكنيسة مجرَّد زيف وادعاء. وأن المال كفضيلة أعمق وأكثر قوة بكثير منها. كان والدي وأسرتي وزوجي على أتمِّ استعداد للتغاضي عما يعتقدون أنني ارتكبته من خيانة. ومن أجل ماذا؟ من أجل بضع قصاصات من الورق، والتي تمثل لهم فقط امتيازًا للنهب والسرقة من الناس.

(تُخاطب تشالمرز)

وها أنت يا توم، لستَ مستعدًّا ومتشوقًا للتنازل عني إلى أحضان الرجل الذي تعتقد أنه عشيقي وحسب، بل أيضًا ترمي ابنك — طفلي وطفلك — لمجرَّد أن تجعله مقابلًا جيدًا ومغريًا ومقبولًا. ولأجل ماذا؟ هل من أجل حب امرأةٍ ما؟ ... من أجل أيِّ امرأة؟ لا. هل من أجل حب الإنسانية؟ لا. في سبيل حب الرب؟ لا. فلمَ إذن؟ من أجل أن تنال امتياز دوام السرقة من الناس؛ سرقة مالهم وخُبزهم وزبدهم وقبعاتهم وأحذيتهم وجواربهم ... من أجل سرقة كل هذه الأشياء من الشعب.

(تخاطب نوكس)

الآن وفي نهاية المطاف أدرك بالفعل مدى شدة وفظاعة القتال الذي يجب أن نَشُنَّه؛ القتال الذي يجب أن نلعب فيه أنا وأنت يا هوارد أدوارنا، وأن نلعبها بشجاعة ودون شكوى أو تذمُّر ... مني أو منك، لكن مني أنا أكثر. هذا وكر اللصوص. وأنا ربيبة اللصوص. كل أسرتي من اللصوص. لقد غُذِّيت وتربَّيت بالسرقة. وكنت جزءًا منها طوال حياتي. ينبغي أن يوقف أحدٌ هذه السرقة، وينبغي أن يكون هو أنا. لا مفرَّ من أن تساعدني يا هوارد.

تشالمرز (يطلق صافرة خفيضة وطويلة)**:** من الغريب أنكِ لم تتوغَّلي قط في مجال الدفاع عن حق المرأة. كنتِ ستصبحين نجمة في هذا المجال بقُدرتك هذه على الخطابة.

نوكس (آسفًا)**:** أسوأ ما في الأمر يا مارجريت أنكِ على حق. لكن من الصعب ألا تكون سعادتنا مبنية إلا على السرقة من سعادة الآخرين. ومع ذلك فإن الأمر يُؤلم ألمًا عميقًا ورهيبًا ... أن أتخلَّى عنك.

(تنظر له مارجريت نظرة شكر وامتنان.)

تشالمرز (ساخرًا)**:** أوه، صدِّقني أنا لستُ مُتلهِّفًا جدًّا للتخلي عن زوجتي. انظر إليها. إنها امرأةٌ رائعة جدًّا ولا يُمكن لأيِّ رجل أن يَمتلكها.

مارجريت: توم، سأقبل بطلاقٍ هادئ وأن أتزوَّج السيد نوكس وأن آخُذَ تومي معي؛ باعتبارٍ واحد.

تشالمرز: وما هو ذاك؟

مارجريت: أن أحتفظ بالخطابات. ستُستخدَم في خطابه بعد ظهر اليوم.

تشالمرز: لا لن تُستخدم.

مارجريت: مهما حدث، ومهما كان سوء ما يُمكنك فعله، سيُلقى هذا الخطاب ظهيرة اليوم. وأسوأ ما ستفعله ضدي لن يكون بالثمن الباهظ الذي أعجز عن دفعه.

تشالمرز: لن تتحصلي على خطابات ولن يكون هناك طلاق ولا تومي ولا أي شيء!

مارجريت: إذن ستُجبرني على البقاء هنا. أنا لم أفعل أي شيءٍ خاطئ، ولا أظنُّك ستُثير فضيحة.

(تدخل ليندا من جهة اليمين في مؤخر الغرفة، وتتوقف وتنظر مُتحيِّرة.)

مارجريت: ها قد وصلت الآن.

(تخاطب ليندا)

أجل؛ أعطني إياها.

(تتقدم ليندا نحوها وتسحب حزمة المستندات من صَدرها. وبينما تناولها لمارجريت يحاول تشالمرز الاستيلاء عليها.)

نوكس (يثب للأمام مُطيحًا بتشالمرز إلى الخلف)**:** لن أسمح لك بهذا!

(يُصاب تشالمرز بنوبةٍ قلبية ويترنح.)

مارجريت (بشفقة وعطف وقلق)**:** توم، لا تفعل! قلبك! احترس!

(يُسرع تشالمرز نحو الجرس مترنِّحًا.)

مارجريت: هوارد! أوقفه! لا تدعه يدق ذلك الجرس وإلا سيَنتزِع الخدم الخطابات منَّا.

(يشرع نوكس في اعتراض تشالمرز لكن يزداد تشالمرز ضعفًا فيسقط على كرسي، رأسه مائل للخلف وساقاه مُمدَّدتان أمامه.)

مارجريت: ليندا، كوب ماء.

(تُعطي ليندا الوثائق لمارجريت ثم تخرج راكضة من الجهة اليمنى لمؤخَّر الغرفة.)

(تنحني مارجريت على تشالمرز في قلق.)

(سكوت.)

نوكس (يلمس يدها)**:** أعطني إياها.

(تُعطيه مارجريت الوثائق فيمسكها بيده، بينما تشكره بعينيها.)

(تدخل ليندا ومعها كأس ماء تناوله لمارجريت.)

(تُحاول مارجريت وضع الكأس على شفاه تشالمرز.)

تشالمرز (يُطيح بالكأس بعنف من يدها إلى الأرض ويتحدث بصوتٍ مخنوق)**:** أحضري لي ويسكي وصودا.

(تنظر ليندا إلى مارجريت في تساؤل. وتتردَّد مارجريت بشأن ما تقول، فتهزُّ كتفَيها بقلة حيلة وتومئ برأسها علامة على الموافَقة.)

(تخرج ليندا مسرعة من المخرج جهة اليمين.)

مارجريت (تخاطب نوكس)**:** ستذهب الآن وستلقي الخطاب.
نوكس (يضع المستندات في جيب معطفه)**:** سأذهب وألقي الخطاب.
مارجريت: وستجعل كلماتك بكل القوة التي ستَصنع مستقبلًا أفضل للجميع. فلتحمل كلماتك أصوات الملايين.

(يَضحك تشالمرز بسخرية ولا تزال قدماه ممددتَين.)

مارجريت: أنت تعرف أين يَكمن قلبي. ويومًا ما، بكل الفخر والشرف، ودون أن نسرق أحدًا أو نؤذي أحدًا، سيلتئم شملنا؛ لنكون معًا إلى الأبد.
نوكس (في كآبة)**:** وحتى ذلك الحين؟
مارجريت: يجب أن ننتظر.
نوكس (بحزم)**:** سننتظر.
تشالمرز (وهو يستقيم)**:** تنتظرون موتي؟ أليس كذلك؟

(خلال الحديث التالي تدخل ليندا من جهة اليمين تحمل الويسكي والصودا وتناولها لتشالمرز، الذي يجرع نصف الكأس من الظمأ. تَصرف مارجريت ليندا بإشارة مِن عينها، وتخرج ليندا من جهة اليمين في مؤخَّر الغرفة.)

نوكس: لم يخطر لي ذلك، لكن بعد أن أشرتِ أنت إليه، يبدو أنه في صلب الموضوع. إن قلبك لن يتحملك أكثر. لقد استخفَفتُ به مثلما فعلتُ بكل شيءٍ آخر من حولك. أنت تُشبه الحوذيَّ الذي يَسرق التِّبن من حصانه الذي سيدخل به السباق ويُراهن عليه. أنت سرقت من قلبك. ويومًا ما عما قريب، سيتوقف قلبك كما الحصان. يمكننا أن ننتظر. ولن يطول انتظارنا.

تشالمرز (بعد أن ضحك مُشكِّكًا وارتشف الويسكي)**:** في الواقع يا نوكس، لا يفوز أيُّنا. أنت لن تحصل على المرأة. ولن أحصل أنا عليها كذلك. ستظلُّ هي باقية تحت سقف بيتي، وسيظلُّ الوضع على ذلك. لن أطلِّقها، فما الفائدة من ذلك؟ لكني مُحكِمٌ وثاقها تومي. ولن تنالها أبدًا.

(يتجاهَلُه نوكس ويذهب إلى الباب جهة اليمين من مؤخَّر الغرفة ويتوقَّف برهة أمامه.)

مارجريت: اجتهد. اعمل بشجاعة. أنت بطَلي وفارسي. اذهب.

(يخرج نوكس.)

(تقف مارجريت بهدوء وجهها بعيدًا عن الجمهور، وتتجه إلى حيث شوهد نوكس آخر مرة.)

تشالمرز: مادج.

(مارجريت لا تتحرَّك ولا ترد عليه.)

أنا أنادي عليكِ يا مادج.

(يقف ويتحرَّك نحوها، ممسكًا بيده كأس الويسكي.)

سيُثير هذا الخطاب من الضجة الكثير. لكني لا أعتقد أنها ستكون بذلك السوء الذي يتحدَّث عنه والدك. تبدو الأمور حالكة الظلمة، لكن مثلها سرعان ما ينقشع. هي دائمًا ما تُصبح طيَّ النسيان. وكذلك الأمر بيني وبينك. قد ننسى كل ما حدث ونعالج الأمر بطريقةٍ ما.

(لا تبدي مارجريت أي علامة على أنها واعية بوجوده.)

لماذا لا تتكلَّمين؟

(سكوت.)

(يلمس ذراعها.)

مادج.

مارجريت (تَلتفِت إليه بغضب مُتضجِّر وبُغضٍ لا يوصَف)**:** لا تلمسني.

(يتراجع تشالمرز.)

(يُسدل الستار.)


هنداوي